جامعة قاصدي مرباح – وقلة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي فلسفة عامة

ميدان : العلوم الاجتماعية

تخصص : فلسفة عامة

من إعداد الطالبة : **إشراف الأستاذ**

بوليفة هـاجر **طاهير رياض**

الموضوع :

إشكـــالية الأخلاق عند كانـط

نوقشت يوم:...../...../2021

أمام لجنة المناقشة المكونة من

د– برابح عمر	جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة	**رئيسا**
د– طاهير رياض	جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة	**مشرفا**
د– بن غزالة محمد الصديق	جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة	**مناقشا**

الموسم الجامعي2021/2020

(بسم الله الرحمن الرحيم)

شكـــر وعرفـــان

الحمد والشكر لله العلي القدير الذي بفضله تتم الصالحات على ما وفقني إليه بمشيئته في إنجاز هذا البحث.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لي أتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين الذين أعاناني وشجعاني على الاستمرار في مسيرة العلم والنجاح.

كما أتوجه بتحية تقدير وعرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف الدكتور "طاهير رياض" الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة في إيفائه حقه ولتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن, والتي ساهمت بشكل كبير في إتمام وإخراج هذا العمل في أحسن صورة, فله مني جزيل الشكر والامتنان.

كما أقدم شكري خاصة إلى الأستاذ الخلوق زوج عمتي " سلامي محمد الصغير " الذي قدم لي من النصائح والمراجع والمساعدة ما أعجز عن إيفائه حقه هنا.

وأيضا جزيل الشكر إلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة قاصدي مرباح –ورقلة-.

كما أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز وإتمام هذا العمل.

الطالبة: بوليفه هـــاجر

الإهـــــــداء

إلى أول حضن في أنفاسي, إلى التي حملتني وهنا على وهن, رفع الله درجاتها وجعل الجنة تحت أقدامها, إلى التي تعجز الكلمات عن وصفها ويرقص القلب فرحا وغبطة لرؤيتها وتفيض العين دمعا للحديث عن صبرها وشقائها, إلى التي منحتني دون أن تسألني, إلى من

ضحت بحياتها وكانت فانوس صدق وإخلاص **" أمي الغالية "**

إلى الذي أحمل اسمه بكل فخر، إلى سندي وملاذي, إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق, صاحب القلب الطيب والمنبع الصافي, إلى الذي يتعب لنرتاح ويشقى لنسعد, إلى دليل في زمن ضاع فيه الدليل, إلى مثلي الأعلى في الحياة، إلى من حرم نفسه ليعطينا, إلى من حمل هموم

الدنيا وشقاءها كي تكون لنا مكانة بين الناس **" والدي العزيز"**

إلى أبناء الرحم الواحد إخوتي **أنيس, أيمن, عبد الرحيم, أيوب**, وأختي الوحيدة **أمينة** التي كانت خير داعم لي وعونا حفظهم الله وأدامهم سندا لي.

إلى جدي وكل فخري البطل المجاهد " **بوقفة عثامن عثمان** " العظيم قلبا وقالبا, وإلى جدتاي منبع الطيبة والحنان وبركة الخير والحياة, فبدعائهما تيسرت السبل. بارك الله في أعمارهم.

إلى العائلة الكبيرة الأخوال والأعمام وأبنائهم.

إلى كل من يحملون في قلوبهم المحبة ويقدرون الصداقة الصادقة, صديقاتي وأخواتي اللواتي لم تنجبهن أمي (**نجوى, منال, وأم الخير**).

كما أهدي ثمرة جهدي لأستاذي الكريم الدكتور " **طاهير رياض**" الذي كلما تظلمت الطريق أمامي لجأت إليه فأنارها لي, وكل ما دب اليأس في نفسي زرع فيّ الأمل لأسير قدما وكلما سألت عن معرفة كان الوعاء الذي أنهل منه وكلما طلبت جزءا من وقته الثمين وفره لي بالرغم من مسؤولياته المتعددة.

إلى الروح الطاهرة التي اشاق لها القلب جدي " **بوليفه محمد المكي** " رحمك الله يا قطعة من القلب فارقتنا.

إلى كل من هم في ذاكرتي ولم تسعهم صفحة من مذكرتي.

إلى كل هؤلاء وهؤلاء أهدي هذا العمل.

أسأل الله أن يجعله نبراسا لكل طالب علم.

الطالبة: بوليفه هاجر

مقدمـــــة

تناول كثير من المفكرين والفلاسفة مسألة القيم الأخلاقية وذلك لإرتباطها بحياة الإنسان وسلوكه الذي يؤثر على طريقة تفكيره، لذلك احتلت دراسة مسألة القيم الأخلاقية مكانة مرموقة في حقل الفلسفة ما أدى بلفيناس إلى اعتبارها أنها ليست فرعا من فروع الفلسفة، بل إنها الفلسفة الأولى ذلك نظرا لإختراقها مختلف مجالات التفكير الفلسفي على مر العصور، وارتباطها بحياة الإنسان العملية.

فالإنسان في تصرفاته وأفعاله يخضع لقيم وقواعد خلقية، تمثل له مرجع أساسي يثمن أفعاله ويحدد سلوكياته، فهي التي ترسم طريق السلوك الحميد، وتحدد بواعثه وأهدافه، لكن موضوع الأخلاق يثير ورائه عدة مشكلات أساسية، جعل الفلاسفة في تأملهم للحياة الأخلاقية كما يمارسها الناس يحاولون استخلاص مبادئ فلسفية تفسر الأخلاق، إلا أن هذه المبادئ التي وصلوا إليها لم تكن واحدة، فقد اختلفت المذاهب الفلسفية في تفسيرها للأخلاق وتعددت بذلك المذاهب الأخلاقية حسب تعدد المبادئ التي تدعو إليها

ويعد "إيمانويل كانط" من أبرز الفلاسفة الذين أبدوا اهتماما بالغا بالمسألة الأخلاقية في الفلسفة الحديثة، حيث أقام الأخلاق على مبدأ كلي ثابت، فهو يرى أن قوانين الطبيعة ثابتة وضرورية فكذلك الأخلاق تخضع لقوانين ثابتة وضرورية غير أنه إذا كانت الطبيعة يسود فيها قانون السببية ونظامها فإن الأخلاق تقوم على أساس من الحرية والإرادة، وبذلك فقد أحدث ثورة في المنظومة الأخلاقية التقليدية الأرسطيّة والدينيّة حيث استطاع أن يحرّر الفعل الأخلاقي من كلّ الغايات الخارجيّة والميول البشرية، التي أضعفت سلطة القيم الأخلاقية وأخضعتها لمطالب الحياة المادية الحسية مؤسّسا إيّاها على قانون عقلي يبتغي الفعل ذاته.

لهذا ارتأينا في هذا البحث التطرق إلى ابرز الإشكاليات التي تعرض إليها كانط في بحثه حول موضوع الأخلاق من خلال إشكالية البحث التالية:

ما هي الدعامة الأساسية التي أقام عليها كانط مشروعه الأخلاقي ؟ وكيف أسس لمشروعه الأخلاقي ؟

يتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الجزئية أهمها:

-ماهو الأساس الذي أقام عليه كانط القيمة الأخلاقية؟

- ما طبيعة القيمة الأخلاقية في الفلسفة الكانطية؟

-هل القيمة الأخلاقية مستقلة عن الوجود أم تابعة له؟ هل هي غاية في ذاتها أم وسيلة؟

- كيف أسس كانط نظريته الأخلاقية على الميتافيزيقا؟

ولتحليل الإشكالية السابقة الذكر, اعتمدنا هنا على مجموعة من المناهج, ففي البداية اعتمدنا على المنهج التاريخي, ويظهر ذلك من خلال بحثنا عن الأصول الفلسفية للظاهرة الأخلاقية عند كانط, وكيف تأصلت عنده، وفي الخطوة الثانية اعتمدنا على المنهج التحليلي, من خلال العودة إلى النصوص الفلسفية الكانطية وتحليل جل أفكارها, وفي المرحلة الثالثة اعتمدنا على المنهج النقدي، ويظهر ذلك بجلاء في نقد أفكار كانط، وهو ما تستدعيه مختلف الدراسات الفلسفية.

وللإجابة عن هذه الإشكالية المطروحة اعتمدنا على الخطة المنهجية التالية وطرح للإشكالية.

مقدمة تضمنت تقديم للموضوع والتعريف به.

الفصل الأول والذي كان عنوانه الأصول الفلسفية للقيمة الأخلاقية الكانطية, بحيث بحثنا في هذا الفصل في محاولة التأصيل الفلسفي للقيمة الأخلاقية من خلال البحث في المبحث الأول عن مفهوم القيمة الأخلاقية عند كانط, ثم في المبحث

الثاني حاولنا الحديث فيه عن أسس ومبادئ القيم الأخلاقية عند كانط, أما المبحث الثالث والأخير فخصصناه للحديث عن الخصائص العامة لمختلف القيم الأخلاقية عند كانط.

أما الفصل الثاني فيتمحور حول الأساس الأخلاقي عند كانط وقسمناه إلى ثلاث مباحث كذلك حيث يعالج المبحث الأول مصدرية القانون الأخلاقي(مفهومه وقواعده)، وبعد ذلك تناولنا أخلاق الواجب عند كانط في المبحث الثاني، ثم الإرادة الخيرة في مقابل الواجب عند كانط في المبحث الثالث والأخير.

والفصل الثالث والأخير فقد خصصناه للحديث عن التأسيس الميتافيزيقي للأخلاق عند كانط وقسمناه إلى ثلاث مباحث أيضا حيث تطرقنا في المبحث الأول لإبراز موقف كانط من الميتافيزيقا، أما في المبحث الثاني الميتافيزيقا ومعيار الواجب الأخلاقي، والمبحث الثالث والأخير خصصناه للحديث عن النقد والتقييم.

وخاتمة وهي عبارة عن حوصلة عامة حيث لخص فيها أهم النتائج المرجوة من هذه الدراسة.

ولعل من جملة الأسباب والدوافع التي أدت بنا لاختيار الموضوع هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

الأسباب الذاتية: تمثلت في إعجابي ورغبتي في التعرف على فلسفة كانط الأخلاقية

ودراستها بشكل مفصل من أجل تحصيل معرفي موسع في فكرة الأخلاق.

الأسباب الموضوعية: تكمن في إبراز فهم أبعاد الفلسفة الأخلاقية عند كانط خاصة نظريته في القيمة الأخلاقية حيث لاحظنا أنه من الفلاسفة القلائل الذين تميزوا بيقين خلقي ظهر جليا في فلسفته الأخلاقية

أما الأهداف والغايات المرجوة من وراء هذه الدراسة تمثلت في مايلي:

– الكشف عن أهم الأفكار الأساسية في فلسفة القيمة الأخلاقية عند كانط.

– توضيح العوامل الأساسية التي ساهمت في بناء نظريته للقيمة الأخلاقية.

– إزالة بعض الغموض واللبس الذي أحاط بموضوع الإشكالية الأخلاقية الكانطية.

ولعل من جملة الصعوبات والعراقيل التي صادفتها أثناء البحث :

– صعوبة الرجوع إلى المصادر الأصلية لكانط نظرا لكتابة معظمها باللغة الألمانية

أو الإنجليزية، وهذا ما يلزمنا من الإلتجاء إلى الترجمات المتعددة التي تناولت النظرية الأخلاقية لكانط مع وجود اختلاف كبير في هذه الترجمات.

– تعدد الدراسات التي قدمت حول نظرية كانط الأخلاقية في المراجع العربية أدى إلى اختلاف هؤلاء الباحثين في تصنيف وتحديد المصطلحات نظرا لتداخلها وترابطها

– إضافة إلى أن لغة كانط وأفكاره في الكثير من الأحيان تستعصي على الفهم لذلك يقال بأن كانط لا يقرأ من كتبه مباشرة بل يقرأ من خلال ما كتب عنه.

رغم ذلك حاولت التغلب على تلك الصعوبات، إيمانا منا أن أي بحث لابد له من جهد وصبر، حتى تؤتى أكله بإذن الله

الفصل الأول:

الأصول الفلسفية للقيمة الأخلاقية الكانطية

*المبحث الأول: في مفهوم القيم الأخلاقية

*المبحث الثاني: أسس ومبادئ القيم الأخلاقية عند كانط

*المبحث الثالث: خصائص القيم الأخلاقية عند كانط

تمهيد:

على الرغم من التطور التاريخي الكبير للمسألة الأخلاقية عبر التاريخ، فإن الإشكاليات الأخلاقية ما زالت تطرح نفسها بقوة كبيرة في هدا الميدان و ما زالت المباحث الأخلاقية مجالا للصراع الفلسفي و الأيديولوجي بين مختلف المذاهب الأخلاقية و قد أدت هذه التناقضات و الصراعات الأيديولوجية إلى تراكم في نسق المفاهيم والدلالات التي تتعلق بمفهوم الأخلاق والقيم الأخلاقية ذاتها فتعددت المفاهيم في مجال الأخلاق تعددت والأسس والمبادئ التي تقوم عليها هده القيم والخصائص التي تميزها عن غيرها من الأفعال الأخرى وصبح من الصعوبة أن نعرف و أن نميز أنَ عملا من الأعمال أخلاقي و آخر غير أخلاقي و إن يعرف الإنسان الخير و الشر و يميز بينهما و أصبحت هده الموضوعات ذاتها تعاني من الغموض و الالتباس نظرا للتنوع الكبير وتحميلها فيضا من التصورات الأيديولوجية المتناقضة و صبحت عرضة للتفسيرات المختلفة بحسب المذاهب الأخلاقية فأصبح الخوض فيها خوضا إشكاليا نتيجة لغزارة المفاهيم الأخلاقية الفرعية التي تراكمت وتقاطعت وتداخلت بصورة تنعدم فيها القدرة على إدراك الغايات والمرامي الأساسية لهده المفاهيم في سياق تفاعلها وتكاملها .

تناولنا في هدا الفصل مفهوم القيم و مفهوم الأخلاق لغة و اصطلاحا ثم حددنا مفهوم القيمة الأخلاقية وتحدثنا على الأسس و المبادئ التي اعتمد عليها كانط في تصوره للقيم الأخلاقية ثم تطرقنا إلى أهم الخصائص التي تتميز بها هذه القيم الأخلاقية في التصور الكانطي .

المبحث الأول: في مفهوم القيم الأخلاقية

للقيم أصناف كثيرة، فمنها ما هو اجتماعي واقتصادي وسياسي وتربوي وأخلاقي، وسنقف في تناولنا لمفهوم القيم في الجانب الأخلاقي تحديدا.

أولا/ تعريف القيم :

أ /القيم في اللغة :

في لسان العرب تعرف القيم بأنها الاستقامة ، وفي الحديث : " قل آمنت بالله ثم استقم " ، فسر على وجهين: " قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو ترك الشرك، وقيل: أقمت الشيء و قومته فقام بمعنى استقام ، والاستقامة اعتدال الشيء و استواؤه و تعني القيم المكانة الرفيعة و المنزلة العالية " كما جاء في محكم التنزيل: "فيها كتبٌ قيمة"[1] (البينة 3)؛ أي ذات قيمة عالية.

و في المنجد القيمة وجمعها قيم، النوع من قام، قيمة الإنسان: قامته، أمر قيم: مستقيم، الديانة القيمة: المستقيمة، ويقال: "وذلك دين القيمة"[2] (البينة5)؛ أي دين الأمة القيمة.

في القاموس المحيط ورد عن القيمة بكسر القاف أنها واحدة القيم، وماله قيمة إذا لم يدم على شيء، وقومت السلعة و إست قمته ثمنته، واستقام اعتدل، وقومته عدلته[3].

---

[1]– ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، (ط 6؛ بيروت: دار الصادر، 1997)، ج12، ص498.

[2]– لويس معلوف، **المنجد في اللغة والإعلام** ، (ط 24 ؛ بيروت: دار المشرق ،1986)،ص663.

[3]– الفيروز أبادي مجد الدين ،**القاموس المحيط** ،(د.ط ، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي ،1991) ج4 ،ص283.

وفي معجم علم النفس تعني كلمة قيمة بالانجليزية (value) وبالفرنسية(valeur). (Axion)[1]

وباليونانية ووردت كلمة قيمة في القاموس (American College) بمعنى "الأشياء التي يعطيها الناس اهتماما خاصا "[2].

أما في القرآن الكريم فيقول تعالى: "ذلك الدين القيم" (التوبة: 36)[3]؛ أي هذا هو الشرع المستقيم الذي لاعوج فيه.

ويقول تعالى في محكم التنزيل: "فيها كتب قيمة" (البينة3)[4]؛ أي فيها أحكام قيمة لا عوج فيها، تبين الحق من الباطل.

من العرض السابق للمعنى اللغوي للقيم، يتبين أن القيم تأتي بمعاني عدة: القدر والثمن، الاستقامة، الثبات والاعتدال، والدوام على الأمر والبقاء عليه، والتمسك بالدين.

ب/ القيم في الاصطلاح:

في معناها الاصطلاحي تعني:

القيم مجموعة من المعايير والأحكام تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية ،بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجيهات

---

[1]– عاقل فاخر، **معجز علم النفس**، (ط3؛ القاهرة: دار العلم للملايين، 1977)، ص140.

[2]– طهطاوي سيد ،**القيم التربوية في القصص القرآني** ،(د.ط ، مصر: دار الفكر العربي ،1996)، ص41.

[3]– الرفاعي محمد، **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير** ، (ط5؛ الرياض: مكتبة المعارف،1988)، ج2، ص336.

[4]– الصابوني محمد، **صفوة التفاسير**، (ط9؛ مصر: مدينة نصر، دار الصابوني)، ج3، ص587

لحياته ، ويراها جديرة بتوظيف إمكاناته ، وتجسد خلال الاهتمامات أو السلوك العلمي أو اللفظي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[1].

ويعرفها الطهطاوي بأنها مجموعة من المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويتفوقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية[2].

من خلال التعريفات السابقة وعلى اختلافها إلا أنها تشترك في معاني بعض الجوانب منها: تجمع التعريفات بأن القيم تضبط وتوجه سلوك الأفراد، والقيم مستمدة من الواقع والمجتمع. وهي مجموع من المعايير والأحكام، التي تتكون لدى الفرد، من خلال المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، متفقة مع التوجيهات العقدية الأخلاقية.

ثانيا/ تعريف الأخلاق:

للأخلاق مكانة عالية ومنزلة في حياة الإنسان، سواء ما تعلق منها بالجانب الثقافي أو السياسي أو الاجتماعي، وفي الكثير من الأحيان تعبر عن الدين، فقد تناولها الكثير من الكتاب و الباحثين في كتبهم ودراساتهم، وسنورد فيما يلي بعض التعريفات اللغوية و الاصطلاحية للأخلاق.

أ/ الأخلاق لغة :

ورد في المنجد بأن خلق جمعها الأخلاق، وهي تعني المروءة و العادة و السجية والطبع[3].

---

[1]– أبو العينين علي، **القيم الإسلامية في التربية**، (د.ط ؛ المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم حلبي، 1988)، ص34.

[2]-طهطاوي سيد، **القيم التربوية في القصص القرآنية** ، مرجع سابق ،ص42 .

[3]– لويس معلوف، **المنجد في اللغة والإعلام**، مرجع سابق ،ص194.

وفي القاموس المحيط ورد الخلق بالضم و بضمتين[1]: السجية والطبع والمروءة والدين.

وورد في المعجم البسيط أن الخلق هو حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من حاجة إلى فكر وروية، وتجمع أخلاق[2].

يتضح لنا من خلال العرض السابق، أن المعنى اللغوي للأخلاق يدور حول الطبع والعادة و السجية والمروءة، التي ترسخ في نفس الفرد، وتظهر جليا في سلوكه من خير أو شر.

ب/ الأخلاق اصطلاحا :

اختلف الفلاسفة والعلماء في إيجاد تعريف شامل لمفهوم الأخلاق، بحيث يعرفها الجاحظ في كتابه "تهذيب الأخلاق" بأنها: "حالة النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية, ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد"[3]،بمعنى أنها قد تكون هذه الأخلاق فطرية في الإنسان، في حين هناك من يرى بأنها مكتسبة من خلال محيطه الخارجي (العادات والتقاليد والعرف والدين).

---

[1]– الفيروز أبادي مجد الدين، **القاموس المحيط**، مرجع سابق، ص334 .

[2]– إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط** ،(ط2؛ إيران: دار الفكر،1972)،ج1،ص252

[3]– أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **تهذيب الأخلاق** ،(ط1؛ دار الصحافة التراث للنشر والتحقيق والتوزيع،1989)، ص12.

ويرى الغزالي بأن الأخلاق "هي عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها ،تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية" [1]، أي أن الأخلاق عالقة في النفس إذ تصدر الأفعال بدون تفكير و رجاجة بل بكل مرونة.

إذا فالأخلاق هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وعلى ضوئها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح .

من التعريفات السابقة يتبين لنا أن من الأخلاق ما هو فطري يولد الإنسان مزودا به‌ا، ومنها ما هو مكتسب، ينشأ من المحيط الاجتماعي الخاص بكل إنسان، ولهذا يمكن إعتبار المعيار الأخلاقي نسبي يختلف عن بيئة لأخرى، كاختلاف التقاليد والعرف المتوارثة عن بني الإنسان.

ثالثا/ تعريف القيم الأخلاقية:

تعددت التعاريف الواردة عن القيم الأخلاقية ،و ذلك نظرا لما تمثله من ضابط لسلوك الفرد ومحددا لاتجاهه، وسنتطرق فيما يلي إلى بعض التعريفات التي وردت عن القيم الأخلاقية .

"القيم الأخلاقية هي مبادئ ومعايير منبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية، لتنظيم سلوك الفرد"[2].

"القيم الأخلاقية هي قيم اجتماعية وإنسانية، أي مجموعة من المبادئ تعمل على احترام الإنسان لنفسه وللآخرين. كقيمة يتميز بها الإنسان وتكون الوازع النفسي الذي يمكنه من الانحراف عن الصلاح ،و ذلك بصياغة سلوكه و تصرفاته في إطار

[1] – جوهري محمد، **أخلاقنا**، (د.ط؛ المدينة المنورة: دار الفجر الإسلامية، 1999)، ص52.

[2] – عبد العزيز عبد الله الدخيل، **معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية والعلوم الاجتماعية**، (ط1؛ دار المناهج للنشر والتوزيع، 2006)، ص93.

محدد يتفق و ينسجم مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها أفراد المجتمع وكذلك هي معايير ومحددات سلوكية وثيقة من مصدر الشريعة الإسلامية، تنظم علاقة المسلم مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره عن قناعة وعن اختيار في أي مجال من مجالات الحياة"[1].

فيتضح من التعريفات السابقة بأن القيم الأخلاقية لا يمكن حصرها أو تحديدها، بل إن ما يحددها هو دور هذه القيمة في الحياة.

وكذلك لا يمكن الاستغناء عنها أي هي قيم متميزة عن سائر أنواع القيم ولا يمكن أن يحل محلها أي قيم أخرى، فهي المبادئ والمعايير التي توجه الفرد وتضبط سلوكه.

[1] – محمد الجزار، القيم في تشكيل السلوك الإنساني، (ط1؛ القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 2008)، ص85.

المبحث الثاني: أسس ومبادئ القيم الأخلاقية عند كانط

أولا: أساس القيمة الأخلاقية

يرى إيمانويل كانت (Imannuel Kant)(1724-1804) أن الفعل الأخلاقي يستمد قيمته من الإرادة الخيرة فهي "الشيء الوحيد الذي يمكن حسبانه خيرا بصورة مطلقة ،الشيء الوحيد الذي يمتلك قيمة كامنة على نحو غير مشروط وهي بذلك الخير الأسمى"[1]، بمعنى أنه مصدر ممكن لتأسيس القيمة الأخلاقية غير الإرادة الخيرة، فيقول في القسم الأول من كتابه" تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق""من بين كل ما يمكن تصوره في العالم، وبوجه عام خارج العالم ليس ثمة ما يمكن اعتباره خيرا دون تحفظ إن لم يكن الإرادة الخيرة"[2] .

نفهم من هذا القول أن "كانط" يؤكد على الإرادة الطيبة كمسوغ وحيد لأفعالنا الأخلاقية نافيا بذلك أي إمكانية أخرى ما عدى الإرادة الخيرة، فهي تعد بمنزلة الدعامة الأساسية لكل سلوك أخلاقي، وهي وحدها التي يمكن تصورها على أنها الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعد خيرا على الإطلاق ومن دون أدنى قيد أو شرط. فالإرادة الخيرة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعد خيرا في ذاته لا لما يترتب عليها من نتائج أو بما تحدثه من آثار، إنها خيرة لأنها تعمل بمقتضى الواجب ويصرف النظر عن النتائج . ولهذا فقد توجد إمكانيات كثيرة تمثل صورة الخير وذات قيمة كالعاصفة أو الذكاء أو الشجاعة أو الموهبة، ولكنها لا تمثل الخير مطلقا،

---

[1] عادل ظاهر، **نقد الفلسفة الغربية الأخلاق والعقل** ،(ط 1؛ الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2005)،ص302.

[2] -إيمانويل كانط، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق** ، تر:محمد فتحي الشنيطي (ط 2؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة،2008)،ص51.

بخلاف الإرادة الخيرة التي تكون خيرة في كل الظروف، إذ تستمد خيريتها من باطن ذاتها بوصفها الشرط الضروري الكامن لكل أخلاقية.

فهي كما يذكر الباحثون في فلسفة كانط الأخلاقية تعلو على جميع آثارها، لأنها تستمد خيريتها من صميم نيتها. والنية هي العنصر الجوهري في الأخلاق ما دامت الإرادة الخيرة خيرة في ذاتها لا بعواقبها، فهي إذن عند كانط وحدها التي يمكن أن تعد خيرا في ذاته أو خيرا مطلقا من دون أدنى قيد أو شرط، أي مهما كانت الظروف والأحوال التي يمكن أن توجد فيها، فهي لا تكون خيرة حينا وغير خيرة في حين آخر، ولا تكون وسيلة خيرة لغاية ما، ووسيلة شريرة لغاية أخرى.

بل إن خيريتها غير مشروطة بعلاقتها بظروف أو بغاية أو برغبة، وهي بهذا المعنى خير مطلق وغير مشروط أبدا، فهي خيرة في ذاتها، لا بالنسبة لأي شيء آخر ومن دون تحديد أو وصف أو تقييد.

يعترف "كانط" بوجود أشياء كثيرة وهي ذات قيمة، ولكنها لا تمتلك قيمة مطلقة في ذاتها بخلاف الإرادة الطيبة التي لا نجد معها أي وضع ممكن أن يفقدها صفوتها ونقاؤها. فإن الإرادة الخيرة هي المسوغ والأساس الوحيد للقيمة الأخلاقية وهذا لأسباب متعددة منها:

*أنها ليست نسبية متغيرة تنظر إلى النتائج ولكنها مطلقة غير مشروطة.

*لأنها تتميز بسموها وعلوها فهي الشرط الوحيد الذي له قيمة في ذاته بدون قيد أو شرط.

* لأنها حرة مستقلة استقلالا ذاتيا "فالإرادة الحرة والإرادة الخاضعة لقوانين أخلاقية هما شيء واحد"[1], إذ هي المشرع والمشرع له في الوقت نفسه، فهي حرة مستقلة استقلالا ذاتيا لا تتقيد بباعث خارجي أو تقع تحت سيطرة نزوة عابرة بل تستمد الإرادة الخيرة قانونها الأخلاقي من ذاتها.

*لأنها كلية وتكمن كليتها في اتخاذها من ذاتها قانونا كليا.

*لأنها غاية في ذاتها لا مجرد أداة أو وسيلة، فإنها تتخذ قاعدتها القائلة : "افعل على نحو تعامل معه الإنسانية في شخصك كما في شخص غيرك كغاية دائما، وفي نفس الوقت، لا كمجرد وسيلة البتة"[2]، أي أنها ليست مجرد وسيلة أو أداة بل هي غاية في ذاتها.

إذا فالإرادة الخيرة هي الدعامة الوحيدة الصالحة لكي نقيم عليها القيم الخلقية، لأنها تستمد خيريتها من ذاتها ،فلا ترتبط بمصلحة أو منفعة بل غايتها في ذاتها.

ب/ معنى الإرادة الخيرة:

يذهب كانط إلى أن"الإرادة الطيبة ليست إلا عقلا عمليا"[3]، ومعنى هذا أن الإرادة هي تلك الملكة المشرعة لأفعالنا العملية، والتي يمكن أن نسميها العقل العملي، فالإرادة الخيرة "هي النية الطيبة التي تسبق أي فعل أخلاقي، بل هي التي تضفي على الفعل صفة أخلاقية"[4] بمعنى أن بدون الإرادة الخيرة أو النية التي تتبع من أعماق وجداننا لأًصبح الفعل الأخلاقي خاليا تماما من أي مضمون، ومفتقرا إلى أي معنى وجودي.

---

[1] - Josef ,Vilatoux ,**Le Moral De Kant** ,Paris :P.U.F.1963,P55.

[2] – –ايمانويل كانط، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق** ،مصدر سابق، ص125.

[3] –المصدر نفسه، ص92.

[4] –زكريا إبراهيم، **المشكلة الخلقية**، (د.ط ؛تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د. س)،ص164.

فالإرادة الخيرة من منظور المذهب الكانطي هي "بمثابة الدعامة الأساسية التي يرتكن عليها أي فعل أخلاقي، فهي الشيء الوحيد الذي يمكن أن نعده خيرا على الإطلاق، دون أدنى قيد أو شرط"[1]، أي هي الشرط الضروري الكافي للقيمة الأخلاقية.فالإرادة الخيرة هي الشيء الواحد الذي يراه الناس جميعا طيبا بلا قيد.

كما أنّ الإرادة الخيرة خيرة لا لما لها من آثار ونتائج، بل لأنها خيرة بذاتها، ولا يزيدها أو ينقص من قيمتها شيء من نتائج نافعة أو ضارة. وكأن الإرادة الخيرة جعلت لكي تكون جديرة بالتقدير وليس لكي تكون نافعة.

[1]– زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مرجع سابق، ص 164 .

المبحث الثالث: خصائص القيم الأخلاقية عند كانط

إن القيمة الأخلاقية في الفلسفة الكانطية إذا ما قرناها بالفلسفات الأخلاقية الأخرى بدت لنا ذات خواص متعددة، ولهذا يجب أن نقف عليها، لأنها تزيدنا معرفة بها، ولعل من جملة الخصائص التي تتميز بها فلسفته الأخلاقية, نجد ما يلي :

أولا: القيم الأخلاقية ليست وجودية :

"العقل العملي فيها هو الذي يخضع الحوافز الحسية والانفعالية إلى مبادئ أخلاقية قبلية، وهو الذي يجعل العمل الأخلاقي خاضعا لتشريع عام، نحن واضعوه، ومبادئ هذا العقل هي التي تمنح الأخلاق استقلالها، وتعتقها من كل تبعية للوجود وهي التي تظهر لنا طابع قيمتها الجوهري"[11]، بمعنى أنها مستقلة عن الوجود" بخلاف الفلسفات الأخلاقية السابقة التي كانت تؤسس القيمة الأخلاقية على الوجود، وبالعقل العملي الأخلاقي خاضعا للتشريع العام، فالقيمة الأخلاقية مفصولة عن الوجود، إذ ليس وراء الوجود شيء, فهو منطلق لموضوع الدراسة و التفكير" فالقيمة تتحقق بالنسبة إلينا حين نعيش في وئام مع الطبيعة التي لا سلطان لنا عليها" [22]، ونجد بأن هذه القاعدة, موجودة في فلسفة شيشرون, حينما جعل من مختلف القواعد السياسية والأخلاقية والاجتماعية مستقاة من الطبيعة. ويظهر لنا ذلك في قوله : "عض في وفاق مع الطبيعة", ومعنى هذا أن القيمة الأخلاقية لا تتحقق عندما نصبح سادة للطبيعة ومالكين لها بل تتحقق إلا بالعيش في سلام واطمئنان مع الطبيعة التي لا نكون حكام وسلاطين فيها، في حين نجد "كانط" يفصل القيمة الأخلاقية عن الوجود و يمنحها استقلالا ذاتيا، وإذ كان لابد لها من دافع وأساس فلا

---

[1]– الربيع ميمون، **نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية و المطلق** ، (د.ط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980)،ص 87.

[2]- نفس المرجع، ص 105.

بد أن يكون خالصا لا يخرج عن الأخلاق ذاتها، فإن القيمة الأخلاقية حسب كانط "لا تتركز في الموضوع، بل في الفاعل الأخلاقي ذاته أي الإنسان"[1]، بمعنى أن القيمة الأخلاقية تتركز على الفاعل الأخلاقي بذاته أي في مبادئ الإنسان القبلية وعقله العملي وليس في الموضوع لأنه لا يجعل منها تقنية توصله للسعادة.

وبهذا يمكننا أن نرى في الأخلاق الكانطية نزعة إنسانية للقيمة الأخلاقية "إذ الإنسان في منظورها هو الذي يخلق قيمة اتجاه لامبالاة الوجود الذي لا تتناهى أسراره"[2]، أي أنها أخلاق تبحث عن القيمة في الفاعل الذي يقدرها لا في الموضوع الذي يجسمها.

فالقول باستقلالية القيمة عن الوجود في الفلسفة الكانطية، لا يعني تصور ذلك بدون قيمة, فالقيم "تتطلب منا التمسك بها من جهة، لأنها تجعلنا نشرف على آفاق الوجود الكامل الحق الذي يجذبنا إليه ويحملنا على الاستمرار في طلبه والبحث عنه، مهما كانت العوائق والعقبات"[3] ، وهذا معناه أن القيمة حاضرة في كل صور الوجود رغم أنها مستقلة عنه، فالأفعال والنشاطات التي يسلكها الإنسان قيم بها يستقيم فعله ويصبح له معنى.

ثانيا: القيم الأخلاقية مرهونة بالحرية

القيمة الأخلاقية لا وجود لها إلا بالحرية التي تتأسس عليها. وتمنحها معناها وبعدها" فالقيمة في حاجة إلى الحرية، لأنها تسقطها خارج الموقف فلا تختلط بالواقعة، ويكون لها قدر لدى الشخص لأنه لا يكون مكرها عليها في هذا الحال>>[3]

---

[1]– عادل العوا، **الأخلاق** ،(د.ط ؛ دمشق: المطبعة الجديدة، 1978)، ص203.

[2] – الربيع ميمون ، **نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلق** ، مرجع سابق،ص88.

[3] – المرجع نفسه،ص127.

أي أن القيمة مرتبطة بالحرية وبحاجة لها، ومن الواضح أنه لا يمكن الحديث عن قيمة أخلاقية لفعل إنساني إلا إذا كان يتمتع صاحبها بحرية الإرادة، فإن العلاقة بين الحرية والقيمة الأخلاقية وثيقة ولا يمكننا تصور انفكاكها.

ويذهب كانط إلى اعتبار الحرية إحدى مسلمات العقل العملي، ووصفها بالمسلمة ذلك أن العقل النظري يعجز عجزا تاما عن البرهنة عليها, ويقول كانط في هذا المقام : "إنني لا أستطيع أن أبدأ من الحرية كوننا غير قادرين لا على أن نعيها مباشرة، إذ أن المفهوم الأول عنها سلبي ولا أن نستدل على وجودها من التجربة لأن الحرية لا تجعلنا نعرف إلا قانون الظواهر وبالتالي آلية الطبيعة، وهذا بالضبط نقيض الحرية "[1].

ومعنى هذا أنه لا يمكننا تصور وجود قيمة أخلاقية بدونها أو في غيابها. "إن الحرية قوامة التكليف، إذ لا يسأل عن أفعاله من افتقد حرية اختيارها"[2]، ومنه يترتب علينا القول بضرورة حرية القيمة الأخلاقية في الفلسفة الكانطية. ويقر كانط على أن الإنسان وليد عالمين، العالم الأول هو عالم الطبيعة والظواهر والضرورة الخارجية والزمان والمكان، أما العالم الثاني فهو عالم المعقولات والجواهر والأشياء في ذاتها، أي أن الفعل الأخلاقي قيمته مرهونة بالحرية وصاحبه يعيش في عالم تسيره الضرورة. ولو اقتصر انتماء الإنسان على العالم الثاني لسارت الإرادة دائما على هدى القانون الأخلاقي.

لكن التأثيرات الطبيعية والاجتماعية لها وقعها على السلوك الإنساني، ولهذا " فإن الإنسان يكتسب نمط التفكير الأخلاقي إلا في الصراع وفي الخضوع الذاتي

---

[1]–إيمانويل كانط، **نقد العقل العملي**، تر:غانم هنا،(ط1؛بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،2008)،ص81.

[2]–محمد عبد الحفيظ، **دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة** ،(د.ط؛ الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2005)،ص14.

للواجب، ولا يكون حرا إلا حينما يفرض على نفسه قانونا ضروريا وكليا ينسحب على الناس جميعا"[1]، أي أن عند خضوع الإنسان إلى الواجب الأخلاقي يكتسب طريقة التفكير ويكون مقيد في هذا المسار إلا من ناحية واحدة وهي عند فرض الذات على تطبيق قانون ضروري يجعلها تميل للإنفراد على العالم الخارجي ويكون العامل الأول و المؤثر لها هو المجتمع.

إنَ سلطة الواجب هي نفسها سلطة الإرادة العاقلة والتي يجب أن تكون حرة مستقلة لأنها تستمد قانونها الأخلاقي من ذاتها فهي المشرع والمشرع له في الوقت نفسه، ومعنى هذا أن الإرادة العاقلة هي» صاحبة التشريع لنفسها ولا يشاركها في ذلك سواها، ولا قدرة لها على هذا التشريع الذاتي ما لم تكن تتمتع بتمام الحرية"[2] .

بهذا المعنى فالحرية مسلمة ضرورية في المشروع الأخلاقي الكانطي, والأخلاق بحاجة إلى الحرية لأنها سبب وجود القانون الأخلاقي فينا، كما تبين لنا حاجة الحرية إلى الأخلاق التي تعتبر دليلا موجبا على واقعيتها أو على الأقل ضرورة الإيمان بها ولو كمسلمة لتأسيس القيمة الأخلاقية, ففي كل الأحوال إذا لا يمكن التكلم عن قيم أخلاقية ما لم نسلم بوجود الحرية، فهي أساس الحياة الأخلاقية برمتها.

ثالثا: القيم الأخلاقية مجردة (ليست مادية)

[1]–علي عبد الله الصغير، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق** ،تر:محمد فتحي الشنطي ، (ط 2؛بيروت: دار النهظة العربية،1969)،ص115.

"لا تتبع مادة العمل الأخلاقي وفجواه ، بل صورته وحسب"[1]، أي أن القيمة الأخلاقية تتبع صورة العمل الأخلاقي لا مادته لأنها تكمن في مبدأ الفعل الذي على أساسه جرى الفعل وتكون، لا في الغرض الذي يسعى إليه أو في نتائجه، فإذا كان لابد للقيمة الأخلاقية أن تتحدد بمبدأ الإرادة الصوري حتى يكون الفعل الأخلاقي نزيها بريئا من كل ما هو مادي.

إن قيمة الفعل الأخلاقي تكمن فيها يحققه من هدف مادي يسعى إليه أو غرض، يقول كانط "إن المبدأ الوحيد للأخلاقية يقوم في الاستقلال عن كل مادة"[2]، أي أن الأخلاق الكانطية يمكن وصفها بامتياز، ما دامت تعلن صورية القيمة الأخلاقية من حيث المبدأ الذي يتأسس عليه ومن حيث الغاية التي تهدف إليها، بل وأكثر من ذلك نجد صوريتها تتحدد حتى في نية الفاعل.

إن تأسيس كانط لأخلاق من هذا النوع، نابع من قناعته أن "الأخلاق هي الشكل ووحدها القادرة على أن تجعل قيمة الخير والشر تقوم في حال النفس بينما أخلاق الموضوع لابد أن تنتهي إلى أن تصبح أخلاق نجاح" [3]، أي و من الواضح هنا أن التجريد الكانطي نقدي في مجال الأخلاق، إذ بذل مجهودا مرموقا لتحرير القيم الأخلاقية من الأشكال المادية، ومن أجل نقاوة الأخلاق ونزهاتها، وإذا كان كانط "يضحي بالمضمون الملموس لصالح الصورية، والكلية الفضفاضة للأمر القطعي.

---

[1] عادل العوا ، **الأخلاق**، مرجع سابق ، ص202.

[2] –إيمانويل كانط ، **نقد العقل العملي**، مصدر سابق، ص87.

[3] عبد الرحمان بدوي، **الأخلاق النظرية**، (ط2؛ الكويت: وكالة المطبوعات، 1985)، ص24.

وينطوي على مضمون بالغ الأهمية فهو يقر ضمنيا فكرة الأولوية القيمية للعام على الفردي "[1]، بمعنى أن كانط ومن أجل التجريد يضحي بالمضمون المادي إذ لا يعطي فكرة الأولوية القيمية للعامة على حساب الفرد، ليحقق الوئام مع الوجود ، ولا ليجعل منها تقنية توصله للسعادة, إذ دعى كانط إلى أخلاق مستقلة عن الأهداف والغايات، ومطالب الحياة الدنيوية، إذ كانت نيته خالصة وكان أمله في تأسيس أخلاق راسخة لها قوانينها وأسسها الثابتة غايتها في جزائها الأخروي ما دامت تراهن على الارتقاء إلى الخير الأسمى إلى غير نهاية.

رابعا: القيم الأخلاقية هي الهدف الأسمى

لا تتوقف القيم الأخلاقية على النتائج أو الغايات التي يحققها الفعل، بل تتوقف على المبدأ أو القاعدة التي يستوجبها الفاعل في أدائه للواجب، فالذي يحدد قيمة الفعل الأخلاقي ليس المصلحة الذاتية أو المقدس الذي يجب إرضاؤه أو المضمون التجريبي، بل الذي يحدد قيمتها هي الصورة الخالصة للقانون الأخلاقي ليس المصلحة الذاتية أو المقدس الذي يجب إرضاؤه أو المضمون التجريبي، بل الذي يحدد قيمتها هي الصورة الخالصة للقانون الأخلاقي، لأن "الكائنات العاقلة تخضع جمعا للقانون الذي بمقتضاه ينبغي لكل منها ألا يعامل نفسه، ويعامل الآخرين جميعا كمجرد وسائل، بل أن يعاملهم دائما وفي نفس الوقت كغايات في ذاتها"[2].

ولهذا السبب نجد كانط ينتقد المذاهب الأخلاقية التي تجعل الفعل الأخلاقي وسيلة لتحقيق السعادة لصاحبها وكأن المقاصد والغايات هي التي تأتي فتطبع على

---

[1]–علي عبد الله الصغير، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق**، مرجع سابق، ص115.

[2]- إيمانويل كانط ، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق** ، مصدر سابق ، ص139.

الفعل قيمة أخلاقية، ففي نظر كانط إن الفعل الذي يضع نفسه في خدمة مثل هذه الغايات لن يكون ذا قيمة مطلقة، بل ستكون قيمته نسبية كالوسيلة سواء بسواء.

"فالأهداف التي يمكن أن تكون لنا في أفعالنا، والنتائج التي تنجم عنها معتبرة كغايات ودوافع للإرادة، لا يمكن أن تنقل هذه الأفعال أية قيمة مطلقة، أية قيمة أخلاقية"[1] ، بمعنى أن الأفعال التي قد تكون بغرض النتائج والغايات والدوافع أي وسيلة للوصول إلى الأهداف المبتغية لا تنقل لنا أي قيمة أخلاقية.

كما نرى أن قيمة الأخلاق تكون مشروطة مرهونة بتحقيق الغايات فإذا اختفت هذه الغايات، اختفت معها قيمة الأفعال، ومن هذا المنطلق ينبغي تحرير الفعل الأخلاقي من قيود هذه الأهواء والميولات وأن نكف على اعتبار الفعل وسيلة أو مطية لتحقيق الأهداف أو رغبات ما، فالقيمة الأخلاقية غير مستمدة من أية غاية مستهدفة أو تجربة ممكنة، فهي لا ترتبط بما توجد عليه الأشياء داخل الطبيعة، وفق ما يقتضيه تشريع العقل، يقول كانط: "القيمة الأخلاقية للفعل لا توجد في النتيجة التي تنتظرها منه، كما لا توجد في مبدأ ما للفعل يحتاج لاستعارة دافعه من هذه النتيجة المرتقبة"[2].

بمعنى أن القيمة الأخلاقية لن تتجدد في سلوك الفعل الأخلاقي إلا عن تمثله في عدم خضوع إرادته الفاعلة لأي مبدأ أو دافع سيكولوجي أو براغماتي أو اجتماعي أو سياسي، فالقيمة إذا ليست سوى تحديد مطلق، فهي فعل يجد بدايته في ذاته غاية لا وسيلة، فإذا تصورنا القيمة الأخلاقية كدافع أو وسيلة لتحقيق غاية معينة فلن تختلف وضعية الإنسان عن وضع الآلة التي تتحرك بواسطة التمثيلات،

[1]- المصدر نفسه ، ص66.
[2]- إيمانويل كانط ، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق** ، مصدر سابق ، ص68.

أو عن صورة الخطة التي توضع لتحقيق الأهداف، ولهذا سعى كانط إلى تأسيس أخلاقية مستقلة عن كل الدوافع والغيابات.

خامسا: القيم الأخلاقية الكانطية شموليّة ومطلقة

يرى كانط أن القيمة الأخلاقية مهما كان الوضع الذي نخصها به، ليست قيمة تحظى باعتبار إلا بالنسبة لشخص يسلك وفقا لقانون كلي ومطلق ينسحب على الناس جميعا, ويغدو في صورة أمر قطعي، كما قيل: "افعل كما لو كان يلزم للإرادة أن تقيم قاعد فعلك في قانون كلي"[1]. أي أنه يجب علينا أن نتصرف إلا على النحو الذي يمكن أن يجعل من فعلنا قانونا أخلاقيا كليا بدون استثناءات أو شروط، م هما كانت الظروف والأحوال، فإن القانون الكلي هو فقط ما يمكنه أن يحقق للقيمة الأخلاقية مطلقيتها ويضمن لها في الوقت نفسه صورتها المجردة. ففكرة تأسيس أخلاق كلية تدل على الموضوعية والعقلانية فيما يخص القيم ومن الممكن الحكم على الخير والشر بحسب معايير واحدة ثابتة.

فالفعل الأخلاقي دائما لا يقبل الاستثناءات أو التغيرات، بل يسري على كل الكائنات العاقلة ذلك أن إضفاء الكيفية المطلقة على الفعل الأخلاقي هو الذي يعطي صورة مطلقة للقيمة الأخلاقية ويطبعها بالسيمة الكونية، وهذا ما يجعل الإرادة الخيرة جديرة بأن تحترم, فكانط يرفض كل موقف أخلاقي يحاول تأسيس القيمة الأخلاقية على الذاتية، والتي لا تقدم قوانين كلية موضوعية للقيمة الأخلاقية "فالقاعدة التي تأمرنا بعدم الكذب أبدا لا تتعلق بنا، وفقا لأحوالنا العارضة، بل تنطوي على ضرورة ذاتية بها تصير هذه القاعدة ملزمة لكل كائن عاقل"[2]، وهنا تظهر حقيقة القيمة الأخلاقية فهي كلية مستقلة عن أي هدف ذاتي أو بعد تجريبي فإن النزعة الكلية

[1]- ، مصدر نفسه ،ص109.

[2]عبد الرحمان بدوي، **الأخلاق عند كانط** ،(د.ط؛ الكويت: وكالة المطبوعات،1979)،ص35.

التي توجه الأخلاق الكانطية ليست مجرد توجه اعتباطي وإنما تنطلق أساسا من رفض الواقع التجريبي بما هو واقع نسبي ومتغير، إذ تتجه إلى صبغ الصفة الكلية على القيمة الأخلاقية، "فالإنسان الفاضل لا يتصرف مُسَوَقا بهوى ولا مدفوعا بمصلحة ذاتية، بل إن مرد خيريته إلى أنه يخضع سلوكه لمبدأ موضوعي صحيح بالنسبة له ولغيره من الناس، وهذا هو جوهر الأخلاقية"[1].

بمعنى أن الإنسان الفاضل لا يجب أن يتوقف على النتائج والغايات أي على المصالح بل يجب أن يتوقف على القاعدة أو المبدأ الموضوعي الصحيح في أدائه للواجب.

وفي نظر كانط " لا يمكننا أن نتصرف أخلاقيا إلا إذا عملنا بطريقة نستطيع معها أن نريد بأن تصبح قاعدة عملنا قانونا كليا كوني "[2]، أي أن الأفعال الأخلاقية لابد أن تكون مطابقة لقانون كلي عام يكون هو الدعامة المطلقة للأخلاق, كما عليها أن تكون صالحة في كل مكان وزمان حتى تطبع على ذاتها قيمة أخلاقية مطلقة، فكانط يتعدى كل ما هو جزئي نسبي إلى ما هو كلي مطلق، خارج إطار المكان والزمان، ويحرص على تأكيد شرط العقل لأنه يمثل المرجعية الأولى للقيمة الأخلاقية ويضمن البعد الكلي لها. إذ يعد معيارا للقانون الأخلاقي، فهو أعدل الأشياء توزيعا بين الناس.

[1]– توفيق الطويل، **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، (ط1؛ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1960)، ص237.

[2]مونيك كانتوسبيربير، روفين أدجيان ، الفلسفة الأخلاقية ، تر: جورج زيناتي، (ط1؛ لبنان: بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة،2008)، ص47.

مما تقدم يمكن استخلاص أهم الأفكار التي انطوت عليها القيم الأخلاقية، ويمكن حوصلتها في النقاط التالية :

1-أنّ القيم الأخلاقية مطلقة، تقوم على مبادئ ثابتة للسلوك البشري لا تخضع للزمان أو المكان أو الظروف موضوعية مستقلة عن الأفراد يسير عليها كل الناس. وبذلك فهي تساعد في التقاء الإنسانية على مبادئ قيمية مطلقة لا تتأثر بمختلف المتغيرات والمستجدات التي عرفها تاريخ الإنسانية.

2-القيم الأخلاقية ترد للإنسان كرامته وتحرك فيه العنصر الفريد وهو عنصر السمو والتعالي، وبذلك يعلي القانون الأخلاقي من شأن الإنسان عندما يأمرنا أن نتعامل معه على أنه غاية لا وسيلة.

3-تعمل القيم الأخلاقية على الارتقاء بالإنسان من الوضعيّة الطّبيعية (وضعيّة الشّعور الخاطئ) إلى الوضعيّة الأخلاقيّة (وضعية الشّعور الأخلاقيّ).

الفصل الثاني:

الأساس الأخلاقي عند كانط

*المبحث الأول: مصدرية القانون الأخلاقي (مفهومه – قواعده).

*المبحث الثاني: أخلاق الواجب عند كانط .

*المبحث الثالث: الإرادة الخيرة في مقابل الواجب عند كانط

تمهيد:

يتأسس المشروع الكانطي في مجال الأخلاق على رفض كل المذاهب الأخلاقية التقليدية واستبعاد كل ماله علاقة باللذة والمنفعة, فيرفض قطعا أن تكون الرغبات العملية النفعية مصدرا للقيم الأخلاقية لأنها قيم بعدية مكتسبة عن طريق التجربة، وبذلك لا يمكن أن تكون التجربة مقياسا للقيم الأخلاقية. فهو يؤسس الأخلاق على مبادئ فطرية قبلية موجودة في العقل، نميز من خلالها كل ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي، ذلك المرجع عنده هو منبع ومصدر القانون الأخلاقي في كل الأحوال، إنه يتمثل في العقل، هذه الملكة التي تتوزع على الناس بشكل عادل والأمر الذي يؤهله كي يكون كذلك هي المبادئ الفطرية الكامنة فيه، وهي موجودة في كل العقول.

ومنه ستكون القيم الأخلاقية مطلقة لدى جميع الناس كقانون أخلاقي عام، وهذا يضمن حسب كانط التساوي في إدراك القانون الأخلاقي والوعي بضرورة الالتزام به, ويعتبر كانط العقل المصدر والمرجع الذي يجب الرجوع إليه لتحديد قيم الخير والحكم على السلوك البشري, فهو يحمل المبادئ التي من خلالها ينبني القانون الأخلاقي وتوزن الأفعال ويحدد ما يجب أن يسري عليه سلوك الإنسان، فتكون بذلك القيم الأخلاقية عند كانط قبلية فطرية موجودة في كل العقول، انطلاقا من الإرادة الخيرة كحقيقة كامنة في الذات.

فما هو مفهوم القانون الأخلاقي عند كانط؟ وماهي القواعد التي ينص عليها؟ وماهو مصدره؟ وماهو مفهومه للواجب الأخلاقي، وكيف يؤدي الإنسان الفعل انطلاقا من الواجب حتى يتحول فعله إلى فعل أخلاقي؟ وكيف تؤثر الإرادة الخيرة على القيام بالواجب. ويجعلنا نقوم بالواجب من أجل الواجب لا غير؟ هذا ما سنتناوله في مباحث هذا الفصل الثاني.

المبحث الأول: مصدرية القانون الأخلاقي (مفهومه – قواعده).

أولا/في مفهوم القانون الأخلاقي:

تعددت التعاريف فيما يخص مفهوم القانون الأخلاقي حيث اختلف الفلاسفة والعلماء في إيجاد تعريف شامل وتعددت أرائهم في ذلك. فنجد أن القانون الأخلاقي على النحو الذي قدمه كانط هو: "منطوق مبدأ السلوك العام الذي يجب أن يطابق الكائن العاقل بينه وبين أفعاله"[1]، بمعنى أنه يجب أن يتطابق القانون الأخلاقي بين الإنسان وأفعاله. وهو أيضا : "المبدأ الكلي والملزم الذي ينبغي أن تكون أفعال الكائن العاقل متطابقة له من أجل تحقيق استقلال الإرادة"[2], أي أنه من أجل استقلال الإرادة يجب أن يكون القانون الأخلاقي ملزما وكليا ومطابقا لأفعالنا التي تصدر منا. فقد قدم كانط القانون الأخلاقي باعتبارها" تنبيها أخلاقيا غير مشروط ولا يحتاج إلى تبرير تجريبي فهو الأمر المطلق"[3]، أي هو قانونا لا يحتاج لتبريرات تجريبية إذ يعد أمرا مطلقا في ذاته ذلك أنه ينبغي أن يكون ضروريا غير مشروطا للفعل.

وكذلك هو: "القانون الذي يقول إن الفاعل الأخلاقي يتصرف أخلاقيا إذا سيطر العقل عن كل ميوله. فإن كل هذا قانونا، فيجب ألا يكون له استثناء مهما تكن الظروف، بل يجب أن يصدق على جميع الناس"[4]، بمعنى أن الفاعل الأخلاقي إذا سيطر العقل على كل ميولاته فهو يتصرف أخلاقيا، ويجب كذلك أن يكون القانون الأخلاقي قانونا عاماً يشمل كل

---

[1] ابراهيم مدكور، **مجمع اللغة العربية المعجم الفلسفي** ،(د. ط ؛ القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،1983)، ص145.

[2] – وهبة مراد ، **المعجم الفلسفي** ،(ط3؛ القاهرة: دار الثقافة الجديدة 1979)، ص323.

[3] لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، **الموسوعة الفلسفية**، اشراف: م رونتال، يوديين(ط1؛ دار الطليعة للطباعة والنشر،1974)،ص57.

[4] – فيصل عباس، **الموسوعة الفلسفية** ،(ط1؛ بيروت: مركز الشرق الأوسط الثقافي للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، 2011)، ج6، ص67.

الناس بصفة عامة ولا يكون استثنائيا مهما كانت الظروف, أي يجب أن يكون شاملا وعاما يصلح لجميع الناس في كل زمان ومكان من غير تناقض.

وفي الأخير يتصف القانون الأخلاقي بكونه أمرا مطلقا لأنه يأتي مجردا من كل إستثناءات أو غايات ويتخذ الصيغة الأمرية التي يمكن أن نحدد شعارها بالقول" افعل ما يجب عليك وليحدث ما يحدث"[1]، بمعنى افعل ما ينبغي فعله مهما كانت الظروف والشروط. وتكمن أهمية القانون الأخلاقي في جعل أفعال الإنسان تتسم بالمشروعية الأخلاقية، وهذا بمثابة خطوة ضرورية لتعيين الإرادة تعيينا مباشرا وفقا لمقتضيات هذا القانون، لأن الأخلاق يجب أن تتألف من قوانين صادقة بالنسبة إلى كل الكائنات العاقلة.

ثانيا/قواعد القانون الأخلاقي:

يحدد كانط ثلاث قواعد أساسية للقانون الأخلاقي تأتي في صورة أمر مطلق يجب أن يلتزم بها الفعل الأخلاقي حتى تكون له قيمة أخلاقية وهذه القواعد هي:

1/ قاعدة القانون الأخلاقي كلي:

إن الأمر المطلق يوجب علينا أن نقوم بالفعل وفقا لقانون عام يصلح للإنسان بما هو إنسان في كل زمان ومكان وعلى ذلك يصوغها كانط على النحو التالي : "افعل طبقا للقاعدة التي تجعل في إمكانك أن تريد لها في عين الوقت أن تغدو قانونا كليا"[2]. هذه هي القاعدة الأساسية التي اعتبرها كانط مبدأ لسائر القواعد الأخرى، ومن الواضح أنها تعني أن المحك الأوجد للسلوك الخلقي ويمكن تعميمه في كل زمان ومكان ومن غير تناقض, و"إذا كان في وسعي أن أجعل من القاعدة التي استندت إليها في فعلي قانونا عاما لا يتعارض مع الواقع الخارجي أو الطبيعة، كان فعلا يسير بمقتضى الواجب. أما إذا أدى تعميمي لقاعدة هذا

[1] عادل العوا ، **الأخلاق** ، مرجع سابق ، ص201.

[2] إيمانويل كانط ، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق** ، مصدر سابق، ص108- 109.

الفعل إلى ضرب من التناقض أو التعارض مع الطبيعة كان فعلا منافيا للواجب"[1] أي أنه ليس بالإمكان أن نعمم دون تناقض أفعال الكذب وخيانة العهد والانتحار وبالتالي لا تكون هذه الأفعال أفعالا أخلاقية.

فالشخص الذي يريد الانتحار هروبا من حياته متى زادت متاعبها أي بسبب مصيبة أو مرض, ولم يقوى على الحياة، لكن إذا أردنا تعميم هذا التصرف لوجدناه يتعارض مع الطبيعة التي تقضي بتنمية الحياة و الرغبة فيها.

ونلاحظ أن الطبيعة التي تجيز الانتحار تناقض نفسها، إذ من المستحيل "أن نتصور الطبيعة التي قانونها المحافظة على الحياة وتنميتها تقرر القضاء على الحياة بسبب ظروف عارضة وانفعالات ذاتية"[2]، أي أن الطبيعة والتي قانونها المحافظة على الحياة إذ قمنا بتعميم هذه التصرفات لقضينا عليها في حين هي لا تقرر القضاء على الحياة بسبب ظروف وانفعالات ذاتية تنهيها. ومن ثم فإن الطبيعة التي تجيز من هذه الانفعالات تناقض نفسها. فمثل هذه التصرفات لا يكون فيها التناقض منطقيا. بل يبدو في مناقضة الإرادة لنفسها.

ويؤكد كانط صاحب ذلك في قوله" إن في الإنسان استعدادا أخلاقيا لا يزال قويا على الرغم مما يعتريه من فثور في هذا الزمان يحفزه إلى التغلب يوما ما على مبدأ الشر الكامن في نفسه"[3]، بمعنى أنه برغم ما يكتسي هذا الزمان من اضمحلال للأخلاق إلا أن النفس البشرية لا تزال يكمن بداخلها الخير الذي يبدد ظلام الشر إلى نور الأخلاق والقضاء عليه يوما ما.

---

[1] محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،(د.ط ؛ مصر: القاهرة، دار قباء والنشر والتوزيع، 1998)،ص167

[2] – عبد الرحمان بدوي، **الموسوعة الفلسفية**، (ط1؛ لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984)، ج2، ص283.

[3] إيمانويل كانط، **مشروع السلام الدائم**، تر: عثمان أمين،(ط1؛ مصر: مكتبة أنجلو المصرية، 1952)، ص54.

ولهذا وجب أن يكون القانون الأخلاقي الذي يحدد أفعالنا الأخلاقية أمرا مطلقا شاملا وعاما يصلح للإنسان في كل زمان ومكان غير مناقض للطبيعة أو الإرادة.

2/ قاعدة الغائية الموضوعية :

كما أن للقانون الأخلاقي قاعدة أخرى التي تقوم على أساس أن الأمر المطلق لا يتعلق بغاية شخصية، لأن الغايات الشخصية هي قوائم الأوامر المشروطة، إذ هناك غايات إنسانية عامة يتوخاها الإنسان بما هو إنسان في كل الظروف والأحوال، فهي غايات في ذاتها. أي من الخطأ أن يستخدم الإنسان إنسانا آخر كوسيلة لبلوغ غاية، لأن الإنسان يجب أن يعامل كغاية في ذاته، وقد صاغ كانط هذه القاعدة على النحو التالي : "افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك بوصفها دائما وفي نفس الوقت غاية في ذاتها، ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة"[1].

ومعنى هذا أن الأمر المطلق كقانون أخلاقي لا يتعلق بغاية شخصية ذاتية، بل يتعلق بفكرة الإنسانية بوصفها غاية في ذاتها، إذا لا ينبغي بحال أو آخر أن نتعامل مع الإنسانية كوسيلة لبلوغ غاية أو هدف، لأن إذا كان بوسعنا أن نتخذ الأشياء وسائل لتحقيق أغراضنا، فإنه ليس بوسعنا أن نتعامل مع الكائنات العاقلة كوسائل، بل كغايات موضوعية، أي أننا ملزمون "أن ننظر إلى الكائنات العاقلة على أنها غايات موضوعية، وبالتالي فليس من حقنا أن نعامل الأشخاص فينا أوفي غيرنا باعتبارهم مجرد وسائل نحقق بها أغراضنا"[2].

ومن ثمة فمعاملة الأشخاص في غاياتهم لامجرد وسائل أو وسائط, فإذا تعامل الإنسان على هذا الأساس فقد قيمة الإنسانية الأخلاقية والتي لا تشرفه ككائن عاقل لأن الفعل الخلقي فعل منزه عن كل نتيجة أو أثر.

---

[1] إيمانويل كانط، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق**، مصدر سابق، ص108- 109.

[2] محمد مهران رشوان ،**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق ، ص169-170 .

فهذه القاعدة مفادها أن الفعل الذي يصدر عن الواجب يتضمن قيمته الخلقية وقيمته لا تتوقف على النتائج التي يحققها أو يحاول تحقيقها. بل تتوقف على المبدأ أو القانون التي يؤدي الإنسان بمقتضاها واجبه.

3/ قاعدة الحرية:

استخلص كانط من مفهوم القاعدتين السابقتين قاعدة ثالثة ألا وهي قاعدة الحرية حيث صاغها على النحو التالي : "افعل بحيث تكون إرادتك بمثابة مشرع يسنّ للناس قانونا عاما"[1]، ويمكن صياغة هذه القاعدة على النحو التالي : "اجعل إرادتك حرة دائما وكمصدر للتشريع العام"[2]، أي أنّ هذه القاعدة(الحرية) تنص على ضرورة خضوع الإنسان للقانون، باعتباره هو المشرع الوحيد له، مادامت إرادة الكائن الناطق هي بطبيعتها خاضعة للقانون، فإنه لابد لهذه الإرادة من حيث هي غاية في ذاتها، لا مجرد وسيلة أو أداة أن تكون هي مصدر هذا القانون، بحيث يكون خضوعها له بمثابة خضوعها لنفسها، وحينها يقر كانط على أن الإرادة هي المشرعة العامة للقانون فهو يعني بذلك أن لديها من الاستقلال الذاتي ما يجعل منها إرادة حرة لا تصدر في أفعالها إلا عن طبيعتها العاقلة.

"فالإرادة لا تخضع للقانون وحده، بل إنّ خضوعها له ينبغي أن ينظر إليه في نفس الوقت من حيث أنها هي نفسها مشرعة للقانون، وإنها لا تعد خاضعة له وفي استطاعتها أن تعد نفسها صاحبة هذا القانون"[3]، ويعني بها أنّ الإنسان كإرادة طيبة هو قانون نفسه فهو المشرع والمشرع له في الوقت نفسه، فإذا كان الواجب يقضي القيام بالفعل طبقا للقانون الأخلاقي وأن يعامل نفسه كغاية، فلا يعني هذا أنّ هذا الإلزام بالقانون الأخلاقي يفرض

---

[1]– نفس المرجع ، ص170.

[2])– أندري كريسون ، **المشكلة الأخلاقية وفلاسفة** ، تر: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى ،(د.ط ؛ مصر: دار الشعب ، 1979)، ص244

[3]إيمانويل كانط ، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق** ، مصدر سابق ، ص113.

عليه من سلطة خارجية مصدرها المجتمع مثله، وإنما يستمد تشريعه من سلطة داخلية ألا وهي الإرادة الخيرة، حيث يكون خضوعها للقانون الأخلاقي بمثابة خضوعها للقانون الأخلاقي بمثابة خضوعها لنفسها، وهنا يكمن استقلالها الذاتي.

وهكذا يعارض كانط أولئك الذين يستمدون مصدر الإلزام الأخلاقي من سلطة خارجية، أي خارج إرادة الإنسان، كأن يكون مصدره المجتمع أو أي سلطة أخرى أعلى على الإنسان، بل على العكس من ذلك فلابد للإرادة "أن تتمتع بضرب من الحرية والاستقلال الذاتي حتى تكون هي المشرعة الوحيدة لأفعالها والمؤولة عن كل تصرفاتها>>[1] ، أي أن لابد للسلطة هنا أنّ تتحرر من كل القيود الطبيعية. وأن تكون داخلية وتجعل من الإرادة مصدر التشريع الخلقي كله.

إنّ هذه القواعد الثلاثة ثابتة في العقل إذا التزم بها كل كائن إنساني سيكون بالضرورة ذي أخلاق راقية وخالصة تجعل منه كائنا متميزا وكذلك تكتسي القيم الأخلاقية صبغة العالمية والتقديس وتصلح للبشرية جمعاء وبذلك يتحقق السلم العالمي الذي تأدى به كانط.

[1]– محمد عمران رشوان،**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق ، ص171.

المبحث الثاني: أخلاق الواجب عند كانط

أقام كانط الأخلاق على فكرة الواجب وحده، وعلى الإرادة التي تخضع له دون غيره، بعد أن كانت الأخلاق حتى عصره تقوم على أنّ الغرض الأسمى منها هو الوصول للخير الأعلى، الذي يشمل السعادة والفضيلة، على اختلاف في جعل إحداهما سببا للأخرى.

ولكن كانط جعل الخضوع للأمر المطلق مقياس الأخلاق ورفع مقام الإنسان فوق اللذة والألم والخضوع للغايات، ورأى أنّ الإنسانية وحدها هي الغاية العليا ولا غاية ورائها، ورفع من شأن الضمير الإنساني، فجعله مشرع وموحي السلوك، وكل عمل يعمل بغير وحي الضمير، وقوة الإرادة الحرة، وصوت الأمر المطلق المجرد عن الغايات، هو عمل ليس من الخير في شيء.

ويرى كانط أنّ كل فعل أخلاقي" ينبغي أن يؤدى احتراما للواجب وتقديرا له. ولا يكفي أن يكون الفعل الخلقي مطابقا في نتائجه لمبدأ الواجب، بل يتحتم أن يجيء هذا الفعل من أجل الواجب وحده وإجلالا له وحده"[1] ، ومعنى هذا أنّ الفعل الأخلاقي لا يكفي أن يأتي مطابقا للواجب، فقد يصادف أنّ يقوم المرء بأفعال تكون مطابقة للواجب، ولكن إذا كان هذا الفعل من أجل غاية أو مصلحة ما فإنّ هذا الفعل لا يستحق أن يتصف بأي صفة أخلاقية.

فالواجب الأخلاقي يتميز بكونه واجبا عقليا وذاتيا وكليا وضروريا، يتعالى عن كل ما يحركه من نزوعات أو رغبات أو ميولات أو شهوات، ولهذا يعرف كانط الواجب بقوله "هو ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون"[2] أي هو ضرورة أداء الفعل احتراما للقانون بحيث يصدر عن احترام للواجب من حيث هو واجب.

---

[1]– محمد مهران رشوان،**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق، ص160.

[2]إيمانويل كانط ، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، مصدر** سابق، ص27.

فحينما يصدر الفعل عن الواجب فإنّ قيمته الأخلاقية لا تتوقف على النتائج التي يحققها أو الأهداف التي يرسمها ويسعى نحو الوصول إليها، وإنما تتوقف هذه القيمة على المبدأ أو القاعدة التي تصدر عنه في أدائه لهذا الواجب. فالواجب هو"ما يقرر وفقا للقاعدة، والقاعدة هي المبدأ الذاتي"[1]، ومعنى هذا أنّ الواجب هو ذلك الإلزام الخلقي الذي ينص على إطاعة القانون واحترامه فحسب، بمعزل عن أي اعتبار كالمصلحة والمودة والرغبة.

فإذا كان الواجب يتميز بكونه نوعا من الضرورة والإلزام فهذا لا يعني أنه طاغية يتحكم بشكل لا منطقي، لأن سلطة الواجب ماهي إلا سلطة العقل ذاتها. فنقول إذا أن أخلاق الواجب الذي شرعته الذات لنفسها ويسمى كانط هذه النوعية من الأفعال الأخلاقية بالأوامر القطعية. يقول كانط : "افعل فقط طبقا للمبدأ الذاتي يجعلك تقدر على أن تريد له في الوقت نفسه أن يصير قانونا كليا" [2]، أي أن هذه الأخلاق تطلب لذاتها وبذاتها، وهي نتائج الضرورة العقلية وتعمل الذات أن تشرع لنفسها أخلاقها مثلما تحرص على الالتزام بأوامر الواجب الأخلاقي لأنّ في ذلك احتراما لإرادة تشريعها، لتمثل الأخلاق الأداة والغاية التي لأجلها كانت الأخلاق، مما يوجب نفي كل غاية أخرى غير الأخلاق حتى لو كانت السعادة ذاتها.

إنّ الأخلاق التي ينفى عنها أن تطلب من أجل المنفعة، هي ما يطلب منها نفي بلوغ السعادة لأنها أخلاق تطلب لذاتها فإنّ مشكلة "تحديد الفعل الذي يكفل السعادة للكائن الحي العاقل تحديدا يقينا وعاما، مشكلة لا حل لها على الإطلاق، وعلى ذلك فلا يمكن من هذه الناحية أن يكون هناك أمر يقضي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، بالإقدام على ما يجلب السعادة"[3] بمعنى أنه ليس من شأن الأخلاق أن تعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة. ورغم

---

[1] عبد الرحمن بدوي, **موسوعة الفلسفة**, مرجع سابق, ص282.

[3] بشير الماجري، **المختصر في الفلسفة** ،(د.ط؛ تونس: دار الجنوب، 2015)، ص108.

[3] إيمانويل كانط, **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**, مصدر سابق, ص58.

أن الواجب يفترض الحرية ويكتمل بالسعادة إلا أنه يشترط ضرورة طاعة الواجب بوصفه واجبا ليس غير. وهذه الطاعة لا تتعارض مع الحرية لأن طاعة الواجب هي طاعة الذات لنفسها.

وهكذا يكون الواجب هو الذي يميز الإنسان باعتباره "مملكة الحرية" عن مملكة الطبيعة بوصفها "مملكة الضرورة". وحسب كانط فإنّ الأفعال التي تصطبغ بصبغة أخلاقية هي تلك الأفعال التي تؤدي احتراما للواجب وتتم بمقتضاه، لا أن تأتي متفقة معه فقط، فمن السهل مبدئيا "أن نعرف الأفعال المخالفة للواجب، لأنها ببساطة منافية له، لكن من الصعوبة أن نسجل الاختلاف بين الفعل المطابق للواجب والفعل الذي يتم بمقتضى الواجب"[1]، أي بمعنى أن هناك كثيرا من الأفعال قد تتم وفقا للواجب إلا أنها تستهدف مصلحة أو تخضع لميول مباشرة، فمثل هذه الأفعال لا تتمتع بأي صفة أخلاقية، ولذلك يجب أن نميز بين الفعل المطابق للواجب والفعل الذي يتم بمقتضى الواجب.

و ربما كان "محل التفرقة بين هذين النوعين من الأفعال هو أن الفعل القائم على الواجب يتعارض مع الميول الطبيعية، بينما يكون الفعل المطابق للواقع مسايرا لهذه الميول"[2]، أي أنّ الإنسان الذي يحافظ على حياته بطرق تلقائية، وفعله يتفق مع الواجب، لأن المحافظة على الحياة واجب، لكن عندما ييأس هذا الإنسان من الحياة نتيجة مصيبة أو مرض ما يصبح من المفيد له أن ينتحر ويتخلص من الحياة، فإذا ما حافظ على حياته ولم ينتحر على الرغم من عدم رغبته، هنا يكون فعله احتراما وطاعة للواجب ويكون لفعله قيمة أخلاقية.

فالواجب الأخلاقي الذي يتكلم عنه كانط هو الواجب الذي يمكن اعتباره بمثابة قاعدة شاملة لا صلة لها بأي تجربة أو غرض أو شيء آخر، يطلع لذاته ويصلح لأن يكون أمرا

[1] George Pascal, **La pensee de Kant**, Bordas, 2eme Edition, Paris, 1957, P118.

[2] محمد مهران رشوان, **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**, مرجع سابق, ص 160.

مطلقا و قانونا أخلاقيا. ويقول كانط في هذا المقام "إنّ الفعل الذي يؤدي بمقتضى الواجب يستمد قيمته لا من الهدف الذي يلزم تحققه به، بل من القاعدة التي يتقرر تبعا لها، فهو لا يعتمد إذن على واقع موضوع الفعل، بل على مبدأ الإرادة وحده ذلك المبدأ الذي بمقتضاه ثم الفعل دون ما اعتبار إلى أي موضوع من موضوعات الرغبة "[1].

ومعنى هذا أنه إذا كان الواجب الأخلاقي هو ما يقرر وفقا لقاعدة، فإنّ هذه القاعدة هي ما يمكن أن نسميه القانون الأخلاقي، والذي يتصف بكونه أمرا مطلقا لا أمرا مشروطا، أي أنّ الواجب الأخلاقي هو ضرورة القيام بالفعل الأخلاقي وفقا واحتراما للقانون الأخلاقي الذي يأتي في صيغة أمر مطلق.

وبهذا الشكل تكون الأوامر الأخلاقية أوامر مطلقة غير مقيدة بأي شرط أو غاية مهما كانت، فالإنسان لا يكون فاضلا لأنه يحاول إتباع رغباته، بل يكون فاضلا لأنه يطيع قانونا عاما صالحا للبشرية جمعاء لذلك سماه كانط الأمر المطلق. والفعل الذي يصدر عن الواجب لا تتوقف قيمته الأخلاقية على الغايات التي يسعى إليها أو النتائج التي يحققها، وإنما تتوقف قيمته على القاعدة التي يستوحيها الفاعل في أدائه لهذا الواجب. لهذا يقرر كانط أنّ صدور الفعل بدافع الشعور بالتعاطف أو الرحمة أو المحبة لا يجعل للفعل أدنى قيمة خلقية، فالواجب لا يستند إلى الوجدان أو العاطفة، كما لا يقوم على التجربة، بل يقوم أولاَ وبالذات على احترام القانون، وبذلك يكون الواجب هو أداء الفعل احتراما للقانون.

ويتصف الواجب عند كانط بأنه صوري مجرد خالص، أي هو"تشريع كلي أو قاعدة شاملة لا صلة لها بالتجربة وتغيراتها"[2], وهذا لأنّ التجربة لا تخبرنا إلا بما هو كائن، أما ما ينبغي أن يكون فلا شأن للتجربة به، وبذلك لا يقوم الواجب على أي اعتبار تجريبي أو

[1] إيمانويل كانط، **أسس ميتافيزيقا الأخلاق**، مصدر سابق،ص66.

[2] محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق، ص162.

عملي، وأخيرا على العقل الخالص وحده. وهكذا يبتعد الواجب عن المصالح والمنافع الفردية، ويصبح السلوك وفقا له مطابقا مع المثل الأعلى للنزاهة الخالصة والأمانة المطلقة بعيدا عن أية منفعة.

فالواجب الأخلاقي إذن لا يطلب من أجل المنفعة أو بلوغ السعادة، بل يطلب لذاته، فليست الأخلاق هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون سعداء، بل هي المذهب الذي يعلمنا كيف نكون جديرين بالسعادة.

المبحث الثالث: الإرادة الخيرة في مقابل الواجب عند كانط

تبنى الأخلاق الكانطية على الإرادة الطيبة التي يعتبرها كانط " *الشيء الوحيد الذي يمكن أن نعده خيرا بإطلاق دون أدنى قيد أو شرط*"[1]، أي أنه لا يوجد شيء في هذا العالم أو خارجه يمكن عده خيرا على وجه الإطلاق ودون أي قيد أو شرط إلا شيئا واحدا ألا وهو الإرادة الخيرة. وهو ينزع بذلك إلى تخليص الأخلاق من تلك النزعة التقليدية التي توحّد بين السعادة والخير ليقيم فصلا حقيقيا يربط بين الفعل الأخلاقي والهدف الذي ينشده أو النتيجة التي تترتب عنه.

فالإرادة الخيرة لا تخضع لأي قانون سوى قانون الواجب, بوصفه المعيار الحقيقي الذي يحدد القيمة الأخلاقية للفعل وهو ما يضفي عليه صفة الشرعية الأخلاقية, وتتمثل الإرادة الخيرة في "إرادة العمل بمقتضى الواجب"[2]، أي للواجب في ذاته دون انتظار لمنفعة ولا انسياقا وراء رغبة، وبذلك يؤكد كانط أنّه لا صلة بين العواطف والميول من جهة والأخلاقية من جهة أخرى، لأنّ الأخلاق لا تعني بإشباع هذه العاطفة أو تلك أو إرضاء هذا الميل أو ذاك، وإلاّ لما كان هناك قانون أخلاقي، لأن ما أميل إلى فعله اليوم قد لا أميل لفعله غدا، فإن الميل دائما مسألة شخصية أو ذاتية بحتة. وإذا كانت الإرادة الخيرة عند كانط هي "إرادة الفعل بمقتضى الواجب دون أي اعتبار آخر"[3], ومعنى هذا أن الإرادة الخيرة لا تخضع لأي قانون سوى قانون الواجب، فإن كل فعل أخلاقي ينبغي أن يؤدى احتراما للواجب وتقديرا له. فتكون الإرادة الخيرة خيرة بالفعل حينما تعمل هذه الإرادة بمقتضى الواجب أي للواجب دون أي اعتبارات أخرى.

---

[1] إيمانويل كانط ،**تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، مصدر سابق، ص17.

[2] محمد مهران رشوان، **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، مرجع سابق،ص159.

[3] نفس المرجع، الصفحة نفسها.

فعندما اعتبر كانط الإرادة الطيبة كمسوغ وحيد لأفعالنا الأخلاقية فإننا نجده من جهة أخرى يجعل الواجب أساس هذه الإرادة الخيرة ذلك أن هذه الإرادة لا تعمل هكذا مشرعة لأفعالنا إلا بناء على نداء الواجب الأخلاقي، فإذا كانت هذه الإرادة "لا تخضع لأي رغبة حسبية أو منفعة فهي في النهاية ليست سوى ضرورة الفعل حسب ما يمليه العقل إنها إرادة الواجب"[1]، وهذا يعني أن الإرادة الخيرة لا تخضع لأي قانون سوى قانون الواجب الأخلاقي، وهي لا تكون خيرة إلا لأنها تفعل من أجل الواجب واحتراما له.

ونجد أن كانط استعان بفكرة الواجب لتوضيح طبيعة الإرادة، لكنه لا يقصد أن الإرادة الخيرة هي التي تعمل وفقا للواجب، بل العكس لأنّ فكرة الواجب ينبغي التغلب عليها من الرغبات والميول، لأنّ الإرادة الخيرة الكاملة هي التي تعمل من تلقاء نفسها، أي أنها إرادة حرة، أما الواجب فهو ما يقر وفقا لقواعد هذا المبدأ ذاته، فكل ما في الطبيعة يعمل للقانون والكائن العاقل هو الوحيد القادر على الفعل وفقا لفكرة القانون أي وفقا للمبادئ.

وإذا كنا قد لاحظنا أن كانط بدأ كتابه "أسس ميتافيزيقيا الأخلاق" بأن يؤكد "أن ليس هناك ما يمكن أن ندعوه من دون تحفظ بأنه خير سوى الإرادة الخيرة. وهذا قد يجعلنا نظن بأنه لا يعطي السيادة لفكرة الواجب ولكن بالنسبة له، فإنّ قولنا عن أحدهم بأنه يملك إرادة خيرة يعني في الواقع التأكيد أنه يسلك بحسب احترام الواجب ليس إلا، وليس بما يتماشى مع الواجب فقط"[2].

ومعنى هذا أن كانط أراد أن يربط ويؤسس العلاقة بين الإرادة الخيرة والواجب الأخلاقي باعتبار أن الواجب الأخلاقي أساس للإرادة الخيرة ويدلل بذلك على عملية الربط بين الإرادة الخيرة و الواجب الأخلاقي فإذا كان كانط يؤكد على أن مبدأ الإرادة الخيرة يعد جوهر الفعل الأخلاقي لأنها هي بمثابة الدعامة الأساسية التي يرتكز عليها أي فعل أخلاقي

[1] عبد الوهاب جعفر، **الفيلسوف كانط والكانطية الجديدة**،(د.ط؛مصر : الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية،2000)،ص97.

[2] مونيك كانتو سبيربير، روفين أدجيان، **الفلسفة الأخلاقية**، مرجع سابق،ص43.

عنده، أي هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن نعده خيرا على الإطلاق، دون أدنى قيد أو شرط فليس هناك شيء ما يمكن أن ندعوه دون تحفظ بأنه خير سواء الإرادة الخيرة فهذا لا يعني أنه يهمل فكرة الواجب لأنه كذلك نجده من جهة أخرى يجعل من الواجب أساس هذه الإرادة الخيرة لأن هذه الإرادة لا تعمل وتشرع لأفعالنا إلا بناء على نداء الواجب فالإرادة الخيرة لا تخضع لأي قانون سواء قانون الواجب الأخلاقي وهي تكون خيرة لأنها تفعل من أجل الواجب واحتراما له.

وبذلك لا يظن أحد أن كانط لا يعطي السيادة لفكرة الواجب فكل شخص يملك إرادة خيرة يعني في الواقع أنه يعمل من أجل الواجب واحتراما له وليس بما يتماشى مع الواجب فقط .

إذا فالحديث عن الإرادة الخيرة يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الواجب الأخلاقي لا محال، فإنه "مركز التصور الأخلاقي الكانطي الذي يعتبر ثورة حقيقية، لأنه يقطع العلاقة بإرث غائي طويل يعطي الأولوية إلى الخير أو السعادة"[1]، وهنا يقصد بأن الواجب الأخلاقي يعتبر أساس ومركز النظرية الكانطية في مجال الأخلاق لأنه أحدث ثورة في مجال الأخلاق وحطم فكرة القيام بالواجب من أجل الغاية أو المنفعة والتي قامت عليها الفلسفات الأخلاقية السابقة التي أسست الأخلاق على الخير والسعادة وهذا ما يرفضه كانط على أساس أن الواجب يكون من أجل الواجب فقط لا ما يترتب عنه من منافع ومصالح وغايات نفعية .

وإننا لنجد أن كانط نفسه يقيم تصوره للحياة الأخلاقية على فكرة الواجب الأخلاقي، إذ جعله شرطا أولى لتحقيق الخير. حيث انطلق من الإرادة والواجب الأخلاقي وجعل منها الأساس الحقيقي للقيمة الأخلاقية متجاوزا كل الإمكانيات الأخرى، ورافضا بذلك الاتجاهات الأخلاقية التقليدية والمعاصرة له.

[1]– مونيك كانتو سبيربير، روفين أدجيان،**الفلسفة الأخلاقية**، مرجع سابق. ص43– 44

الفصل الثالث:

التأسيس الميتافيزيقي للأخلاق عند كانط

*المبحث الأول: موقف كانط من الميتافيزيقيا.

*المبحث الثاني: الميتافيزيقا ومعيار الواجب الأخلاقي.

*المبحث الثالث: نقد وتقييم.

تمهيد:

يعتبر الكثير من الفلاسفة أن كانط يمثل نقطة تحول هامة في مجال الفلسفة الحديثة، من خلال محاولته التوفيق بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي، فإذا كان العقليون يقررون بأن العقل وحده يستحوذ على المعرفة بصورة قبلية مسبقة، والتجريبيون يقررون بأن العقل صفحة بيضاء يستمد جميع معارفه من التجربة الحسية. وسط هذا الجدل إتخذ كانط موقفا وسطا بين مغالاة العقليين وتطرف التجريبيين، انطلاقا من فلسفته النقدية التي اخضع فيها العقل إلى النقد والتمحيص، وبيان حدوده وقدرته على المعرفة والبرهنة على الحقائق الطبيعية والميتافيزيقية من خلال تمييزه بين ميتافيزيقا الأخلاق وميتافيزيقا الطبيعة فالأولى تتناول قوانين ما يجب أن يكون، بينما الثانية تتناول قوانين ماهو كائن .

ومن هنا تنشأ فكرة ميتافيزيقا مزدوجة ميتافيزيقا الطبيعة التي تهتم بالمجال الطبيعي وميتافيزيقا الأخلاق تدرس مجال النشاط الإنساني حيث يبرز العقل قدرته ومكانته ويتمحور هذا النشاط حول التجربة الأخلاقية، وهذا ما حاول كانط تأسيسه في كتابه "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"، حيث وضع بذلك الأسس العامة للمبدأ الأسمى للأخلاق محاولا إيجاد ترابط بين العقل النظري والعقل العملي أي بين العقل والإرادة. فما هو مفهوم كانط للميتافيزيقا؟ وما هو موقفه من الميتافيزيقا ؟ وكيف جعل كانط الميتافيزيقا معيارا للواجب الأخلاقي بوصفه فعلا عقليا محضا؟

المبحث الأول: موقف كانط من الميتافيزيقا

أكد كانط نقده للميتافيزيقا السابقة عليه، لأنها قدمت أجوبة عن موضوعات الميتافيزيقا بدون أي فحص لأداة المعرفة نفسها، أي بدون الالتزام بالقيام بفحص نقدي للعقل ذاته. فسعى كانط إلى ميتافيزيقا الأخلاق لا ميتافيزيقا الطبيعة التي تتناول قوانين ماهو كائن

إذ يقصد كانط بالميتافيزيقا أنها "هي المعرفة القبلية لموضوع ما، عن طريق التصورات المحضة، إنها المعرفة القادرة على تجاوز الشكلية المنطقية البحت، و التجريبية البحت، والتي تستطيع بواسطة العقل وحده أن تحدد موضوعها"[1]، أي أن الميتافيزيقا بالنسبة لكانط ماهي إلا مذهب يضم جميع مبادئ معرفة التصورات، أي هي باختصار مذهب الفلسفة النظرية الخالصة، ولعل تعريف كانط يريد أن يقول أن الميتافيزيقا هي مذهب العقل الخالص أي العلم الذي يكشف على نحو متسق ومنهجي مجموع المعرفة الفلسفية سواء كانت حقيقة أو زائفة، والتي تصدر عن العقل المجرد.

فإن الميتافيزيقا هي "العلم الذي يقوم وحده بحل التصورات التي لا يمكن تجنبها وهي: وجود الله، وحرية الإرادة، وخلود النفس"[2]، أي بمعنى هي العلم الذي يعمل على حل التصورات التي لا يمكن علينا إهمالها وتجنبها وإذ تعد موضوعاتها مطلقة لا مشروطة.

ولذلك يرى كانط أن معرفة الأشياء المحسوسة تنتمي إلى الميتافيزيقا انتماء غير مباشر على الأقل، على الرغم من أنها لا تكون الغاية الرئيسية للميتافيزيقا

---

[1] عبد الرحمن بدوي،**الأخلاق عند كانط** ،(د.ط؛ الكويت: وكالة المطبوعات،1979)، ص33.

[2] إيمانويل كانط ، **نقد العقل المجرد** ، تر:أحمد الشيباني،(د.ط؛ لبنان: بيروت،منشورات دار مكتبة الحياة،1965)،ص64.

فيقول كانط في كتابه "نقد العقل المجرد" : "على الرغم من أننا ننظر إلى الميتافيزيقا على أنها أخفقت حتى الآن في محاولاتها فهي مع ذلك علم ضروري تماما لطبيعة العقل البشري فالميتافيزيقا هي تمام كل ثقافة للعقل البشري"[1]، ومعنى هذا هو أن رغم ما تعرضت له الميتافيزيقا في القديم وحتى الآن من فشل إلا أنها تبقى علم ضروري كليا لطبيعة العقل البشري إذ تعد مكملة لكل معرفة للعقل البشري.

والميتافيزيقا تشمل أحكاما تحليلية قبلية، لكنها يجب أن تصحح مسارها لتشمل أحكاما تركيبية قبلية، مع أن موضوعاتها مطلقة لا مشروطة مثل الله والحرية والخلود

فتتميز ميتافيزيقا الأخلاق عن ميتافيزيقا الطبيعة "بكون الأولى تتناول قوانين ما يجب أن يكون، بينما الثانية تتناول قوانين ما هو كائن"[2]، أي أن ميتافيزيقا الأخلاق مميزة ومناقضة فهي عكس ميتافيزيقا الطبيعة حيث أن هذه الأخيرة تقوم على قانون كل ما هو موجود في حين نجد أن ميتافيزيقا الأخلاق تقوم على قوانين ما يجب أن يكون أي الأساسية التي لا غنى عنها.

إذ أن الميتافيزيقا عند كانط "هي العلم الذي يدعي إدراك موضوعات خارجية على نطاق التجربة"[3]، أي بمعنى العلم هو شيء في ذاته وهو المعقول، إذن

فالميتافيزيقا وفقا للتعريف الذي حدده كانط هي العلم الوحيد من كل العلوم الذي يستطيع وبجهد قليل، لكنه متحد، أن يتطلع إلى اكتمال كهذا وبوقت وجيز، لأنها فعلا ليست سوى جرد لجميع ممتلكاتنا التي إكتسبناها بواسطة العقل المجرد، وأعددناها إعدادا منهجيا هذا الإكتمال المطلق لا يحمل أمرا ممكنا، بل ضروريا

---

[1]- إيمانويل كانط،**نقد العقل المجرد**، مصدر سابق، ص351.

[2]- عبد الرحمن بدوي، **الأخلاق عند كانط**، مرجع سابق، ص33.

[3]- الحفني عبد المنعم،**الموسوعة الفلسفية**،(د.ط؛ تونس:سوسة،دار المعارف للطباعة والنشر،د.س)،ص375.

أيضا، وذلك بواسطة الوحدة الكاملة لهذا النوع من المعرفة المشتقة بأكملها من المعاني العامة المجردة، ودون أن يكون للخبرة أي أثر أو فاعلية فيها.

ومنه فإن ميتافيزيقا الأخلاق "لن تستمد إذن قوانين الأخلاق من الطبيعة الإنسانية ولا من عادات الناس، بل من العقل ذاته مباشرة ولهذا فإنها لن تستعين بعلم النفس ولا بعلم الإنسان"[1]، أي أنها لا تستمد قوانينها الأخلاقية من الطبيعة البشرية ولا من عادات الناس وتقاليدهم أي الأخلاق الشعبية بحسب تعبيره، بل تستمد قوانينها من العقل ذاته مباشرة، وليس كل عقل بل العقل الخالص من كل مادة، وبالتالي فليس هناك استعانة بعلم النفس (السيكولوجيات) أو علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، وهذا بسبب أن معطيات علم النفس هي من الغموض والتشتت والتشعب بحيث لا يمكن أن نستخلص منها قواعد كلية مطلقة وفيها أيضا خلط بين المبادئ والأحوال الجزئية، بحيث تتوقف النتائج المستخلصة على الأحوال الفردية والميول والعواطف الخاصة، وهو الأمر الذي يرفضه كانط بصفة خاصة.

وسبب رفضه هذا مبني على أساس أن هذه المذاهب التي تزيع إلى تفسير الأخلاق بتراكيب نفس الإنسان أو الطبيعة الإنسانية، أو الظروف التي يعيش فيها الإنسان، وبالتالي فهي لا تقدم سوى قواعد متفاوتة العموم ذاتية بدلا من أن تقدم قوانين كلية موضوعية للإرادة.

ولكن ميتافيزيقا الأخلاق هذه "المستقلة استقلالا تاما، والتي لا تختلط بالأنثربولوجيا ولا باللاهوت ولا بالفيزياء ولا بما فوق الفيزياء"[2]، أي أنها مستقلة كل الاستقلال عن العلوم الطبيعية، فهي تثق بقدرة العقل التي لا علاقة لها بالتجربة، فإن العقل يطمح لمعرفة الأشياء في ذاتها والميتافيزيقا تختلف عن الرياضيات والعلوم

[1] عبد الرحمن بدوي، **الأخلاق عند كانط**، مرجع سابق،ص33.

[2] إيمانويل كانط ،**تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**،مصدر سابق،ص45.

الأخرى لأنها تستمد قانونها من العقل ذاته مباشرة لا غيره. فيقول كانط إن هذه الميتافيزيقا ليست فحسب مقوما لا غنى عنه لكل معرفة نظرية للواجبات محددة تحديدا أكيدا بل هي كذلك في الوقت نفسه "أمر مرغوب فيه على أقصى درجة من الأهمية لأجل إتمام تعليماتها إتماما فعليا"[1]، أي أنها أخلاق ضرورية لا يمكننا الاستغناء عنها إذ تعد في نفس الوقت أمرا مرغوب فيه لأجل إتمام كل تعليماتها، وذلك لأن تصور الواجب والقانون الأخلاقي بوجه عام تصورا خالص غير مختلط بأية إضافة غريبة من عوامل الإثارة التجريبية، له على القلب الإنساني، عن طريق العقل وحده والذي يدرك عندئذ، لأول مرة أنه بذاته يمكن أيضا أن يكون عقلا عمليا من الأثر ما يفوق في قوته كثيرا سائر الدوافع التي يمكن أن يستمدها الإنسان من حقل التجربة إنه في وعيه بكرامته ليحتقر هذه الدوافع ويتمكن شيئا فشيئا من السيطرة عليها.

فإذا ما وجدنا مذهبا مختلطا في الأخلاق ويتألف من دوافع مختلفة مع الميول والعواطف وفي نفس الوقت من تصورات عقلية، فلا بد أنه يجعل الوجدان يتذبذب بين دوافع لا تتدرج تحت مبدأ من المبادئ فقد يمكن بالمصادفة البحتة أن تؤدى إلى الخير وقد تقود إلى الشر في معظم الأحيان, فيتبين وبوضوح أن "مقر جميع التصورات الأخلاقية ومصدرها قائمان بطريقة قبلية خالصة في العقل، سواء في ذلك العقل الإنساني المشترك والعقل التأملي المجرد الذي بلغ أقصى درجات التأمل والتجريد"[2]، أي أن المعرفة العقلية هي مقر جميع التصورات الأخلاقية ولا يمكن استخلاصها من أية معرفة تجريبية فهي لهذا السبب معرفة عارضة، وأن في صفاء منشئها تكمن جدارتها التي تجعلها صالحة لأن تكون أسمى المبادئ العملية التي

[1] نفس المصدر، الصفحة نفسها.

[2] إيمانويل كانط ،**تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، مصدر سابق،ص46.

نهتدي بهديها، ولهذا فإذا أضفنا إليها في كل مرة عنصرا تجريبيا إنما نسلبها بالمقدار نفسه أثرها الأصيل ونجرد الأفعال من قيمتها المطلقة.

يرى كانط أن ميتافيزيقا الأخلاق ضرورية, لا عن دافع من دوافع التأمل المجرد فحسب, ويستهدف البحث في مصدر القواعد الأخلاقية الموجودة في عقلنا وجودا قبليا, بل لأن الأخلاق نفسها لا تفتأ تتعرض لألوان من الفساد لا حصر لها, ما بقيت مفتقرة إلى ذلك المقياس والمعيار الأعلى الذي لا بد منه للحكم عليها حكما صحيحا ذلك لأن "كل ما ينبغي له أن يكون مطابقا للقانون الخلقي، بل لا بد له كذلك أن يحدث من أجله، وإلا كان هذا التطابق من قبيل الصدفة وكان تطابقا فاسدا" [1].

ومعنى هذا هو أنه القاعدة غير الأخلاقية قد تتولد عنها من حين لآخر أفعال مطابقة للقانون، ولكنها لا تنتج في أغلب الأحيان غير أفعال منافية للقانون، أما في نقاء وأصالة القانون الخلقي لا يمكن البحث عنه في غير فلسفة بقية خالصة، فلابد لهذه الميتافيزيقا أن تسبقه وتتقدم عليه، وبغيرها لن يقوم لفلسفة أخلاقية وجود، بل إن الفلسفة التي تخلط تلك المبادئ الخالصة بالمبادئ التجريبية لا تستحق أن تسمى فلسفة أخلاقية، لأنها بهذا الخلط إما تفسد نقاء الأخلاق وتتعارض مع الهدف الذي تريد هي نفسها تحقيقه.

[1] نفس المرجع، ص9.

المبحث الثاني: الميتافيزيقا ومعيار الواجب الأخلاقي

صادر كانط على مسائل الميتافيزيقا، وآمن بها على المستوى العقل العملي دون النظري إلا أنه لم يقتنع بها ميلا طبيعيا في الإنسان بل أراد أن تكون علما قائما بذاته يستطيع أن يصل إلى نتائج يقينية تكون في مستوى نتائج العلوم وذلك عن طريق تغيير المنهج السائد في المباحث الميتافيزيقية بمنهج جديد يستوعب قضايا العلم ومن هنا بدأ كانط مشروعه النقدي المتكامل بنقد العقل الإنساني ليصل في النهاية إلى بناء الميتافيزيقا على أسس أخلاقية ويجعل أساسها أخلاقيا عقليا واستبعاد كل ماهو تجريبي، ومنه وجد أن "الإحسان حيثما استطاع الإنسان واجب, وهنالك بعض النفوس التي بلغ بها العطف مبلغا يجعلها تجد المتعة الباطنة في إشاعة السرور حولها واللذة في رضا الغير, طالما كان فعلا من أفعالها, دون أن يدفعها إلى ذلك دافع من غرور أو أثره. غير أنني أزعم أن مثل هذا الفعل, مع مطابقته للواجب واستحقاقه للثناء, لا ينطوي على قيمة أخلاقية حقيقية, بل يرافق ميولا أخرى ويلازمها"[1].

ويظهر لنا من خلال نص كانط أن الأخلاق مرتبطة أشد الإرتباط بالواجب, وينفي كل الأخلاق القائمة على الغاية. فالقيمة الأخلاقية هي مجرك عن كل ما هو حسي ومادي أو يجلب النفع لصاحبها.

فمن دون الإيمان بالحرية و الاختيار تنتفي الأخلاق من الأساس، لأن الأخلاق بحسب كانط تعبر عن امتثال الواجب, فإذا كانت الميتافيزيقا "مستحيلة كعلم نظري فإنها ممكنة كعلم يقوم على التجربة الأخلاقية التي تقوم أساسا على فعل

1 إيمانويل كانط, **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**, مصدر سابق, ص 46-47

الواجب الذي هو الخضوع لأمر العقل وحده دون مراعاة رغبة أو ميل أو عاطفة"[1]، أي أنها تكون ممكنة كعلم يقوم على التجارب الأخلاقية التي تقوم في الأصل على فعل الواجب والذي يكون خاضع لأمر العقل فقط، وبذلك تكون القيمة الأخلاقية هي الأساس الذي نقيم عليه الميتافيزيقا والعالم المادي ككل.

ومن ثم فالإيمان بفكرة الواجب يلازمه الإيمان والمصادرة على الحرية والاختيار، فالحرية قاعدة الإلتزام الأخلاقي. أما بشأن خلود النفس، فمرد ذلك إلى أن الإنسان لا يمكنه بلوغ الخير الأسمى والسعادة القصوى في الحياة الدنيا بسبب من تدافع عالم الحس وتأثيره على الإنسان، ومن ثم ذلك يستدعي الإيمان بخلود النفس بعد الممات حتى تطوي مسارها التكاملي وتصل إلى الخير الأسمى والغاية القصوى.

لذلك كان كانط يرى أنه من أشد الأمور ضرورة إعداد فلسفة أخلاقية خالصة، نقية نقاء تامّا من كل مايمكن أن يكون تجريبيا ومن كل ما يتصل بعلم الإنسان، بسبب ذلك لابد أن ضرورة وجود مثل هذه الفلسفة أمر يتضح بذاته من الفكرة المعتادة التي لدينا عن الواجب وعن القوانين الأخلاقية. فإن كل إنسان لابد أن يسلم بأن قانونا يراد له أن يكون قانونا أخلاقيا، أعني قاعدة الالتزام، لابد أن يحمل طابع الضرورة المطلقة. فالقاعدة غير الأخلاقية قد تتولد عنها من حين إلى آخر أفعال مطابقة للقانون، ولكنها لا تنتج في أغلب الأحيان غير أفعال منافية للقانون الخلقي.

أما والقانون الخلقي في نقائه وأصالته لا يمكن البحث عنه في غير فلسفة نقية خالصة. ولهذا لابد للميتافيزيقا أن تسبقه وتتقدم عليه، وبغيرها لن يقوم لفلسفة أخلاقية وجود. فإن من واجبات ميتافيزيقا الأخلاق أن تتناول بالبحث فكرة ومبادئ

2- الشريف زيتوني،**مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية**،(د.ط؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،2006)ص159

إرادة خالصة ممكنة، لا أن تتناول أفعال وشروط فعل الإرادة الإنسانية بوجه عام. والسبب الذي جعل كانط يتجه هذا الاتجاه هو أن " الفعل الأخلاقي الخير يجب أن يكون مثقفا ليس مع الواجب، بل يجب أيضا أن يطلب للواجب نفسه، فإن لم ندرك الواجب في طابعه الخالص، فإننا قد ننزع إلى أن نسلك طلبا للذة أو الملائمة >> [1]، أي أن كل الأفعال التي هي من هذا النوع لا يمكن أن تعد أفعالا أخلاقية، لأنها صادرة عن دوافع غير أخلاقية، والفعل الأخلاقي الخير يجب أن يطلب من أجل الواجب نفسه وليس أن يكون مثقفا من أجل الواجب هي تعميم من التجربة، ولهذا حاول كانط أن يقيم الأخلاق على أساس يقيني بصورة مطلقة.

وبعد أن بين كانط أن القيمة الأخلاقية إنما يمكن قيامها على الشعور بالواجب الذي يمليه العقل العملي لا غير، بين فيما بعد أن هذا الواجب اللامشروط يفترض عفوية لا مشروطة أيضا للقيام بالفعل الأخلاقي، وهي الحرية التي تجعل الإرادة الخيرة غير خاضعة للظواهر الحسية، وهذه هي المسلمة التي تتضمنها الأخلاق، أما المسلمة الثانية خلود النفس، لأن الإنسان نظرا إلى ثنائية العقل والحس التي يتميز بها فهو لا يستطيع أثناء حياته القصيرة أن يتطهر من ألوان الميول الحسية لكي يبلغ الكمال الأخلاقي ولذلك وجب التسليم بوجود حياة أخرى يبلغ فيها الإنسان كماله، وبما أن الحياة الواقعية تبين لنا الفضيلة التي يدعو إليها الواجب الأخلاقي لا تصحبها السعادة دائما، إذ قد يكون الإنسان فاضلا وشقيا، فإنه يجب أن يكون هناك إله عادل يوفق ويجمع بين السعادة والفضيلة ويزيل التناقض بينهما، وهذه هي المسلمة الثالثة التي تقتضيها الأخلاق.

مما سبق أنه إذا لم تكن لدينا مثل هذه الميتافيزيقا،» لا أقول أن نحدد على وجه الدقة للحكم التأملي العنصر الأخلاقي للواجب في كل ما يطابق الواجب >>[1]

[1]– فيصل عباس،**الموسوعة الفلسفية**، مرجع سابق، ص59.

[1]، بمعنى أنه سيكون من المستحيل حتى في مجال الاستعمال العملي الشائع المشترك، وبالأخص فيما يتصل بالتعليمات الخلقية أن نؤسس الأخلاق على مبادئها الحقة ونوجد بذلك طبائع أخلاقية خالصة ونبثها في الضمائر لتحفزها على السعى إلى أقصى خير ممكن في هذا العالم.

[1]– إيمانويل كانط ،**تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، مصدر سابق، ص48.

المبحث الثالث: النقد والتقييم

إن نظرية الأخلاق الكانطية كان لها فضل كبير في إبراز أهمية الإرادة الخيرة والقانون الأخلاقي على مر تاريخ المذاهب البشرية. فالقيمة الأساسية في إشكالية الأخلاق عند كانط تكمن في قيمة التأسيس العقلي للأخلاق، حيث أثبت كانط عقليا بأن العقل يحتوي على مبدأ الأخلاق، التي تعد أخلاق إنسانية من الأساس، أخلاق تتبع من الإنسان وتتوجه للإنسان وغايتها هو الإنسان ذاته, أخلاق من الصعب التلاعب بها أيديولوجيا ونفعيا كما حصل مع باقي الأنظمة الأخلاقية، فأراد كانط غلق الباب أمام التلاعب الديني والأديولوجي الضيق والعمل على رفع البشرية لمستوى أنبل وأرقى.

من خلال هذه القيم الأخلاقية التي يجملها كل منا في داخله وتعبر عن إرادته الخيرة النابعة من صميم ذاته، والتي تعمل على ضبط العلاقات الإنسانية بين البشر. هذه العلاقات التي تم التلاعب بها على مر التاريخ وبإسم الأخلاق، من أجل غايات ومآرب نفعية ومتوحشة للبشر،لذلك أراد كانط أن يؤكد بأن الحياة الإنسانية يجب أن ترتقي نحو أنموذج أرقى يليق بمقام الكائن البشري، أنموذج الإنسان الإرادي والمسؤول يؤمن بالواجب لذاته.

لذلك يبقى كانط مرجعية في مجال الأخلاق في العصر الحديث، والتي كان لها الأثر الكبير على حياة الإنسان، في مختلف مجالات الحياة، فقد أصبحت الأخلاق الكانطية مرجعية أساسية لإخراج الإنسانية من التيه الأخلاقي بسبب إهمال القيم الأخلاقية.

ولقد كان لنظرية كانط الأخلاقية الفضل في بناء قيم إنسانية عالمية وقيام مجتمع قائم على أساس التعايش والتسامح بين شعوب العالم، وإرساء الأسس القانونية

الأخلاقية لميثاق عصبة الأمم، والميثاق العالمي لحقوق الإنسان، والدعوة إلى إشاعة قيم الخير والمحبة في نفوس البشرية.

لكن بالرغم من هذه القيمة الفلسفية والأخلاقية التي حققتها نظرية كانط الأخلاقية في عملية التأسيس للقيم الأخلاقية، إلا أنه تعرض موقف كانط الأخلاقي للعديد من الإنتقادات دارت معظمها حول نظريته عن الواجب الأخلاقي، إذ تعد نظرية رآها النقاد صورية متطرفة وموغلة في التشدد، إذ تفتقر إلى التجسيد الواقعي بالإضافة إلى عدم إهتمامها لجانب التجربة واللذة والرغبة والوجدان بإعتبارها عناصر ضرورية للحياة. لذلك تعرضت هذه النظرية إلى جملة من الإنتقادات والإعتراضات قام بها مجموعة من الفلاسفة أبرزهم:

شوبنهاور Schopenhauer (1788-1823) هو تلميذ للفيلسوف العقلاني "كانط" ومن أهم الانتقادات التي وجهها شوبنهاور لأستاذه رفضه لنظرية الواجب الأخلاقي فهذه المصطلحات في نظره ليست فلسفية ولا أخلاقية بل هي "لاهوتية انحدرت إلينا من تشريع موسى، وحتى وسلمنا بأن الواجب مفهوم أخلاقي صرف فإن قول كانط بضرورة الخضوع للقانون هو قول غير معقول لأن العقل يلزمنا دائما بالبحث عن الحيثيات التي تسوغ للقانون أن يأمرنا"[1].

بمعنى أن مفهوم الواجب مصدره ينحدر من الأخلاق اللاهوتية، ويقول بأنه مفهوم غريب عن الفلسفة. وأن قول كانط بوجوب خضوع القانون احتراما للقانون هو قول غير معقول. كما إنتقد كذلك صورية المبادئ الأخلاقية التي يراها كانط مبادئ أولية سابقة عن التجربة متجاهلا بذلك خيرات الناس الداخلية والخارجية ومتجاهلا شتى وقائع العالم الخارجي، وبذلك رفض هذه الأخلاق المتعالية الثابتة كونها تنفي

[1]- زكرياء إبراهيم، **المشكلة الأخلاقية**، مرجع سابق، ص180.

إرادة الحياة وتقصي دورها في تمكين الإنسان من التأسيس للأخلاق التي يتحقق له البقاء، هذه الغاية التي لا يمكن إلغائها في توجيه السلوك البشري وتحديد القيم، هذه الأخيرة ستكون متغيرة ونسبية وفق متغيرات الواقع البشري حتى تقوي روابط الحياة وتغذي ذاتية الإنسان المتعددة.

ويرى شوبنهاور كذلك أن كل أفعالنا لو حللناها لوجدناها قائمة على أساس باعث من رغبة أو مصلحة. حيث يقول: " إن شعور الإنسان بواجبه ليس صادرا من أخلاقية فطرية كما ذهب إليه كانط ولكن مستمد مما أودعه المجتمع في الفرد من قواعد للسلوك فالأخلاق تهبط للإنسان كما هي، طويلا من الزمان، وليست الأخلاق عامة مطلقة، ولكنها قانون للسلوك ينمو ويتطور بما هو ملائم لحياة الجماعة" [1]، أي أنها متغيرة بتغير طبيعة الجماعة وظروفها، وليس هناك عمل خير في ذاته كما قال كانط.

ومن أهم المدارس التي عارضت نظرية كانط الأخلاقية والتي جاءت كبديل لها نجد مذهب المنفعة والمذهب البراغماتي المعاصر هذه الفلسفات الأخلاقية رفضت القول بالأخلاق المطلقة الثابتة، وترى بأن الأخلاق نسبية، لأن عصرنا لم يعد عصر المبادئ الأخلاقية بل أصبح عصر المرونة والنسبية. فالواقع يؤكد أن الأخلاق نسبية مرتبطة بعجلة التغيير الإجتماعي ، على اعتبار أن الطبيعة البشرية ليست واحدة في كل زمان ومكان، بل طبيعة متعددة بحسب الأشخاص ومن ثمة لا يمكن أن نشرع للإنسانية في مجملها دون أن يقيم القائلون بهذه القيم المطلقة أي وزن للظروف والمناسبات والأزمنة والسلالات والأفراد.

ونجد أيضا **جيرمي بنتام Jeremy Bentham**(1748-1832) وهو من دعاة هذه النظرية، ورائد المنفعة العامة، الذي عارض النظرية المثالية في الأخلاق وأقام مذهب المنفعة العامة على مطالبة الإنسان بالعمل على تحقيق أكبر قدر من

السعادة أو المنفعة لأكبر عدد من الناس. إن الفيلسوف المثالي كما يرى بنتام "يستكين في مقعد مريح ويأخذ في إصدار أحكام قاطعة في الكبرياء عن الواجب مبدأ إنسانيا يلتقي على طريقة كل الناس في كل زمان ومكان مع إن الحقيقة هي كل إنسان لا يفكر قط إلا في إشباع حاجاته الشخصية ورعاية مصالحه الخاصة"[1]، أي أنه يهاجم أصحاب النزعات الواقعية في الأخلاق بدعوى أن كانط يعبر عن فلسفة مثالية بعيدة عن الواقع. وقد أراد بنتام أن يحول الدراسات الأخلاقية إلى علم واقعي يمتاز بالدقة والضبط، فأقامه على أسس نفسية لأن حياة الإنسان تخضع لسيطرة دوافع نفسية تتمثل في وجدانات اللذة والألم.

ونجد أيضا **جون استيورات مل John Stuart Mill** (1806-1873) في ركب بنتام فاعتبر الأخلاق علما وضعيا وليس علما معياريا، ونقل موضوعه من وضع المثل الأعلى الذي يسير بمقتضاه السلوك الإنساني إلى وصف سلوك الأفراد في مجموعة بشرية مرتبطة بزمانها ومكانها، وقد شارك أستاذه في إقرار المنفعة غاية للأفعال الإنسانية ومعيارا للأحكام الخلقية، "قصد بالمنفعة تحصيل اللذة والخلو من الألم"[2]، وشارك بنتام في تعليق الأخلاقية على نتائج الأفعال دون بواعثها وتوكيد الجزاء مغريا بفعل الخير أو تجنب الشر، بمعنى أن اللذة هي الشيء الوحيد الذي يعد مرغوبا فيه.

فالمحور الأساسي، الذي يدور حوله كل هذا المذهب، هو المبدأ القائل بتحقيق أكبر قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس فسعادة الأغلبية هي المعيار الذي نقيس به قيمة أي نظام أو تشريع، من خلال النظر للنتائج والوقائع لا للمقاصد والنوايا.

---

[1])-محمد مهران رشوان،**تطور الفكر الأخلاقي والفلسفة الغربية**، مرجع سابق، ص22.

[2]-زكريا إبراهيم،المشكلة الخلقية،مرجع سابق، ص199.

وهكذا أصبحت الأخلاق عنده مرهونة بنتائج الأفعال وأثارها، فإذا كان العقليون يعلقون خيرية الأفعال على بواعثها دون نتائجها فإن التجريبيين من أمثال بنتام وجون استوارت مل يستخفون ببواعث الأفعال ويربطون بين الخيرية ونتائجها وبهذا رفض النفعيون ما أكده خصومهم.

خاتمـــة

من خلال ما تم عرضه في موضوع إشكالية الأخلاق عند كانط، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

– يرى كانط أنه من المستحيل تأسيس الأخلاق على الواقع والتجربة لأن الأخلاق تريد قوانين ومبادئ ثابتة، موحدة،مطلقة، والإرادة الخيرة هي وحدها التي يمكن أن تعد خيرا في ذاته أو خيرا مطلقا أو خيرا غير مشروط لأنها خيرة في كل الظروف ومهما كانت الأحوال، وهذه الإرادة الخيرة تستعين بفكرة الواجب، ذلك أن الإرادة التي تعمل وفقا للواجب هي إرادة خيرة، والواجب هو ضرورة إنجاز الفعل احتراما للقانون الأخلاقي، وهذا القانون هو الذي يقول إن الفاعل الأخلاقي يتصرف أخلاقيا إذا سيطر العقل على كل ميوله. إذن الواجب أمر مطلق يربط بين الإرادة وبين القانون الكلي والصفة الجوهرية المحددة للأمر المطلق هي أنه كلي.

– الإرادة الخيرة عند كانط هي وحدها التي يمكن أن تعد خيرا في طبيعتها بحيث لا تستمد خيريتها مما تصنعه أو تحققه بل هي مترفعة وعالية على جميع آثارها لأنها تستمد خيريتها من صميم نيتها وهي عماد الحياة الأخلاقية، فهي حرة ومستقلة، إرادة مشرعة للقانون الأخلاقي، إرادة طيبة، تنقل الإنسان من حالة الخضوع للقانون الأخلاقي إلى حالة الاحترام والتبجيل والتقدير.

– أن القيمة الأخلاقية للواجب لا تتوقف على النتائج التي يحققها أو الغايات، إنما تتوقف هذه القيمة على القاعدة التي يستوجبها الفاعل في أدائه لهذا الواجب. فالقيمة الخلقية لأي فعل تكمن أولا وقبل كل شيء في مبدأ الإرادة بغض النظر عن الغايات التي يمكن أن يحققها مثل هذا الفعل، فهو يظهر بصفة الأمر القطعي والخالي من كل غاية وميول فهو بذلك حر وهو يختلف عن الأمر الأخلاقي الشرطي، لما فيه من مساومة.

– يقوم القانون الأخلاقي على ضرورة التطابق بين صورة الأفعال ومادتها، بين الأقوال والأفعال، لذا يأمر كل فرد أن يجعل من سلوكه الأخلاقي أُنموذجا يحتذي، فيغذو مشرعا أخلاقيا للآخرين من حوله، لا بالقول فحسب بل بالفعل كذلك، فليس المهم أن نريد أداء واجبنا فحسب بل أن نؤديه.

– وصف القانون الأخلاقي بالكلية والشمول فيتساوى جميع الناس أمامه دون تمييز، فالفضيلة ليست امتيازا، ولا ثمرة لعلم يعز مناله على العامي، ولا تفوقا نخبوي، بل إنها في أكمل صورة لها في متناول الجميع على حدٍ سواء.

– القيام بالواجب الأخلاقي كإلزام تفرضه الإرادة الحرة يتصف بالكلية كقانون عام ومنزه عن كل غرض ذاتي أو منفعة، فالواجب من أجل الواجب دون النظر إلى النتائج التي تحصل منه وبذلك رفض كانط أن تكون التجربة مقياس للقيمة الأخلاقية لأنها ذاتية متغيرة.

– بعد أن مهد كانط لإقامة الميتافيزيقا بوصفها علما له منهجه المحدد وموضوعاته المحددة في الجانب النظري، نجده يؤسس هذه الميتافيزيقا في الجانب العملي من مشروعه، ويجعل أساسها أخلاقيا،عقليا، واستبعاد كل ماهو سلوكي أو تجريبي.

– بالرغم من الإنتقادات التي وجهت لإيمانويل كانط من خلال نظريته إلا أن أفكاره كانت مؤثرة جدًا أثناء حياته وبعدها، إذ إستمر تأثيره وإمتد ليكون مؤثرا أساسيا في الفلسفات التي جاءت بعده.

وعلى الرغم من الإنتقادات الموجهة لفلسفة كانط الأخلاقية, إلا أنه يبقى رائدا من رواد الفلسفة الأخلاقية في عصره, وهذا نتيجة لقوة أفكاره, وأبعادها الإنسانية البحتة, فالغاية القصوى لمشروعه الأخلاقي هي إعادة الاعتبار للإنسان في حد ذاته بعيدا عن كل الاعتبارات.

كل هذا جعل من فكر كانط الأخلاقي, تاج فوق رؤوس الفلاسفة والمفكرين.

وأصبحت فلسفتها الأخلاقية أرضية خصبة للبحثفي مختلف القيم الإنسانية في عصرنا المعاصر.

وما أحوج مجتمعاتنا اليوم إلى محاولة التأسيس من جديد لفلسفة أخلاقية كانطية بحتة, نتيجة التمزق الأخلاقي الذي نعاني منه اليوم, فدعوتنا اليوم تقتصر على إعادة إحياء أفكار كانط الأخلاقية وتطبيقها في مجتمعانا خدمة للنوع الإنساني.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر باللسان العربي :

1/ إيمانويل كانط , **ميتافيزيقا الأخلاق**, تر : محمد فتحي الشنيطي, ط2؛ بيروت : مركز دراسات الوحدة,2008.

2/ ــــــــــــ , **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**, تر: عبد الغفار مكاوي, ط2؛ مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1980.

3/ ــــــــــــ, **مشروع السلام الدائم**, تر: عثمان أمين, ط1؛ مصر: مكتبة أنجلو المصرية,1952.

4/ ــــــــــــ, **نقد العقل العملي**, تر: غانم هنا, ط1؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 2008.

5/ ــــــــــــ، **نقد العقل المجرد**, تر: أحمد الشيباني، د.ط؛ لبنان : بيروت, منشورات دار مكتبة الحياة, 1965.

ثانيا / المراجع :

أ/باللسان الأجنبي :

George Pascal, **La pensee de Kant**, Bordas, 2eme Edition, 6/ 1957.

7/ Josef , Vilatoux, **Le moral de Kant**, Paris, 1963.

ب/ باللسان العربي :

8/ الربيع ميمون, **نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلق**, د.ط؛ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, 1980.

9/ الرفاعي محمد, **تيسير العلي القدير لاختضار تفسير ابن كثير**, ط؛ الرياض : مكتبة المعارف, 1988.

10/ الشريف زيتوني, **مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية**, د.ط؛ الجزائر : ديوان المطبوعات الجمعية, 2006.

11/ الصابوني محمد, **صفوة التفاسير**, ط9؛ مصر مدينة نصر, دار الصابوني, د.س, ج3.

12/ أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ, **تهذيب الأخلاق**, ط1؛ دار الصحافة التراث للنشر والتحقيق والتوزيع, 1989.

13/ أبو العينين علي, **القيم الإسلامية في التربوية**, د.ط؛ المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم حلبي, 1988.

14/ أندري كريسون, **المشكلة الأخلاقية وفلاسفة**, تر : عبد الحليم محمود أبو بكر ذكرى, د.ط؛ مصر : دار الشعب,1979.

15/ بضير الماجري, **المختصر في الفلسفة**, د.ط؛ تونس :دار الجنوب,2015 .

16/ توفيق الطويل, **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها**, ط1؛ القاهرة : مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر,1960.

17/ جوهري محمد, **أخلاقنا**, د.ط؛ المدينة المنورة : دار الفجر الإسلامية,1999.

18/ زكريا إبراهيم, **المشكلة الخلقية**, د.ط؛ تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع, د.س.

19/ زكي نجيب محمود, **قصة الفلسفة الحديثة**, د.ط؛ القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1936.

20/ طهطاوي سيد, **القيم التربوية في القصص القرآني**, د.ط؛ مصر: دار الفكر العربي, 1996.

21/ طه عبد الرحمن, **سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**, ط4؛ المغرب : الدار البيضاء, المركز الثقافي العربي, 2009.

22/ عادل العوا, **الأخلاق**, د.ط؛ دمشق : المطبعة الجديدة, 1978.

23/ عادل ظاهر, **نقد الفلسفة الغربية الأخلاق والعقل**, ط1؛الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, 2005.

24/ عبد الرحمن بدوي, **الأخلاق عند كانط**, د.ط؛ الكويت : وكالة الطبوعات, 1979.

25/ عبد الزهاب جعفر, **الفيلسوف كانط والكانطية الجديدة**, د.ط ؛ مصر : الاسكندرية, دار المعرفة الجامعية, 2000.

26/ علي عبد الله الصغير, **أسس ميتافيزيقا الأخلاق**, تر :محمد فتحي الشنيطي, ط2؛ بيروت : دار النهضة العربية, 1969.

27/ محمد الجزار, **القيم في تشكيل السلوك الإنساني**, ط1؛ القاهرة : مركز الكتب للنشر, 2008.

28/ محمد مهران رشوان, **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**, د.ط؛ مصر : القاهرة, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, 1998.

29/ محمد عبد الحفيظ, **دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة**, د.ط؛ الاسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر,2005.

30/ مونيك كانتو سبيربير, روفين أدجيران , **الفلسفة الأخلاقية**, تر : جورج زيناتي, ط1؛ لبنان : بيروت , دار الكتاب الجديد, 2008.

ثالثا/ المعاجم والموسوعات :

31/ الحفني عبد المنعم, **الموسوعة الفلسفية**, د.ط؛ تونس : سوسة, دار المعارف للطباعة والنشر,د.س.

32/ الفيروز أبادي مجد الدين, **القاموس المحيط**, د.ط؛ لبنان : بيروت, دار إحياء التراث العربي, 1991, ج4.

33/ إبراهيم مدكور, **معجم اللغة العربية المعجم الفلسفي**, د.ط؛ القاهرة : الهيئة الهامة لشؤون المطابع الأميرية, 1983.

34/ إبراهيم أنيس وآخرون, **المعجم الوسيط**, ط2 ؛ إيران : دار الفكر, 1972, ج1.

35/ ابن منظور جمال الدين, **لسان العرب**, ط6؛ بيروت : دار الصادر, 1997, ج12.

36/ عاقل فاخر, **معجم علم النفس**, ط3؛ القاهرة : دار العلم للملايين, 1977.

37/ عبد الرحمن بدوي, **الموسوعة الفلسفية**, ط1؛ لبنان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر, 1984 ,ج2.

38/ عبد العزيز عبد الله الدخيل, **معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية والعلوم الاجتماعية**, ط1؛دار المناهج للنشر والتوزيع, 2006.

39/ فيصل عباس, **الموسوعة الفلسفية**, ط1؛بيروت : مركز الشرق الأوسط الثقافي للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع,2011,ج6.

40/ لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين, **الموسوعة الفلسفية**, إشراف : م رونتال, بوذيين, ط1؛ دار الطليعة والنشر, 1974.

41/ لويس معلوف, **المنجد في اللغة والإعلام**, ط24, بيروت : دار المشرق, 1986.

42/ وهبه مراد, **المعجم الفلسفي**, ط3؛ القاهرة : دار الثقافة الجديدة, 1979.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول : الأصول الفلسفية للقيمة الأخلاقية الكانطية	06
المبحث الأول : في مفهوم القيم الأخلاقية	08
المبحث الثاني : أسس ومبادئ القيم الأخلاقية عند كانط	14
المبحث الثالث : خصائص القيم الأخلاقية عند كانط	18
الفصل الثاني : الأساس الأخلاقي عند كانط	28
المبحث الأول : مصدرية القانون الأخلاقي (مفهومه ـ قواعده)	30
المبحث الثاني : أخلاق الواجب عند كانط	36
المبحث الثالث : الإرادة الخيرة في مقابل الواجب عند كانط	41
الفصل الثالث : التأسيس الميتافيزيقي للأخلاق عند كانط	44
المبحث الأول : موقف كانط من الميتافيزيقا	46
المبحث الثاني : الميتافيزيقا ومعيار الواجب الأخلاقي	51
المبحث الثالث : نقد وتقييم	55
الخاتمة	60
قائمة المصادر والمراجع	64
فهرس المحتويات	

الملخص :

تهدف هذه الدراسة، إلى محاولة الإحاطة بجوانب الفلسفة الأخلاقية عند كانط, وذلك من خلال محاولة الإحاطة بموضوع القيم الأخلاقية عنده, ومن ثمة محاولة تحديد العلاقة الكامنة بين الفعل الأخلاقي وأخلاق الواجب عند كانط.

فلا يخفى علينا أن فلسفة كانط بوجه عام و الأخلاقية بوجه خاص, قد ارتبطت بمبدأ أساسي يظهر في أخلاق الواجب, واستبعاد كل الفلسفات التي كانت تبجل للمنفعة والغائية, ولهذا كانت فلسفة كانط بمثابة ثورة في ميدان البحث في القيم الأخلاقية, ومصدرها, ومبادئها, قلبت موازين الفكر الأوروبي في تلك المرحلة, ولهذا ففلسفته الأخلاقية مبنية على الإنسان, وغايتها خدمة الإنسان في الآن نفسه.

الكلمات المفتاحية :

الأخلاق, الواجب, الغائية, القيم الأخلاقية, الضرورة, الإنسان.

Summary :

This study aims, to attempt to understand the aspects of moral philosophy according to Kant, by attempting to comprehend the issue of moral values with him, and then trying to determine the underlying relationship between moral action and the ethics of duty according to Kant.

It is no secret to us that Kant`s philosophy in general and morality in particular has been linked to a basic principle that appears in the exclusion of all philosophies that venerated utility and food. morality is based on the human being and its goal is to serve the human being qt the same time.

Key words :

Moral, home work, finality, moral values, necessity, The human.